الجمع القيم لسلسة

المذكرات الاستراتيجية

بقلم الأخ



حفظه الله



مؤسسة المأسدة الإعلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة المأسدة الإعلامية

– تقدم –

الجمع القيم لسلسلة

المذكرة الإستراتيجية

للأخ : عبدالله بن محمد – حفظه الله –

١٤٣٢هـ | ٢٠١١م

الفهرس

المذكرة الإستراتيجية [١]

الحمد لله الواحد القهار والصلاة والسلام على الضحوك القتال اللهم لا علم لي إلا ما علمتني ولا رأي لي إلا ما ألهمتني فاهدني بنور منك إلى ما يرضيك عني ، أرني الحق حقا وارزقني اتباعه وأرني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه ، اللهم إنه لا حول ولا قوة إلا بك ولا ناصر ولا معين إلا أنت يا رب العالمين فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، اللهم إنه ليس لمثلي أن يسألك إلا المغفرة ولكن ليس لمن عرف شيئا من كرمك أن يترك سؤالك فأسألك بأسمائك الحسنى أن تثبتني على طاعتك وأن تتولاني وأهلي وإخواني برحمتك ، اللهم ما هي إلا نعمك أتقلب فيها كيف أشاء فلك الحمد من قبل ومن بعد وما هو إلا طمعي في مغفرتك وفضلك فاجعلني من حملة لؤاء الدين وألحقني بالصالحين .

[المذكرة الإستراتيجية]

تلقيت عدة رسائل في الآونة الأخيرة يسأل أصحابها عن أهم الجبهات التي يمكن العمل من خلالها في ظل الأوضاع الجديدة ، فبعد أن تخوف البعض من تأثيرات الثورات العربية على مسار التيار الجهادي أصبح الجميع الآن يدرك أهمية هذه الثورات في دعم وتثبيت المشروع الجهادي وإعطائه قفزة ماراثونية لم تكن لتخطر على قلب بشر ! ومن أجل توضيح هذه النقطة سأكشف عن مضمون رسالة كنت قد كتبتها للشيخ أسامة بن لادن رحمه الله بعد نجاح الثورة المصرية ولكن الأجل كان أسرع من الرسالة إليه .. وقد ألمحت في مقالتي [استراتيجية التمكين لأنصار شريعة رب العالمين]عن لب تلك الرسالة عندما ذكرت أن الثورات العربية في محصلتها النهائية ما هي إلا كيوم " بعاث " الذي قتلت فيه صناديد الأوس والخزرج واضطربت فيه موازين القوى في المدينة ليفتح المجال بعد ذلك أمام أي قوة فتية تصلح للقيادة وتستطيع ملأ الفراغ فكان الأمر كما وصفته عائشة رضي الله عنها: كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد افترق ملؤهم وقتلت سرواتهم. أخرجه البخاري

ولكن كيف ؟

عندما نريد أن نعرف ونستشف نتيجة حدث معين علينا في البداية أن نقيس مدى القوى المؤثرة فيه وإتجاه كل وحدة منها ثم ننظر فيما يمكن أن تقود إليه وفق الخصائص والمعطيات العامة ، وهذه الثورات العربية قد بنيت في كل بلد على مشارب مختلفة وأهواء متنوعة منها الإسلامي والعلماني والوطني والقومي وسوادها الأعظم من

الجماهير البسيطة ومع ذلك توافقت هذه الجموع بشكل غير مسبوق على إسقاط هذه الأنظمة مهما كلف الأمر وبأي ثمن ! والحقيقة أن هذا التوافق الإستثنائي هو السبب الرئيسي في إسقاط نظامي بن علي ومبارك وجعل ثلاثة أنظمة أخرى على حافة الإنهيار فالمراقب لطبيعة قرارات وإجراءات كل نظام لقمع الثورة يرى أنها تصب في إتجاه واحد وهو تفتيت هذا التوافق وتجزأة عناصره وهو الأمر الذي لم ينجح فيه أحد منهم !

والمهم هنا أن حالة التوافق الإستثنائي هذه خاصة بمرحلة الثورة وإسقاط النظام ولا يمكن أن تستمر لما بعد ذلك ! وماحدث في تونس ومصر بعد الثورة خير دليل على ذلك وهذا في الأصل يرجع إلى أن العرب قوم لا تصلح لهم الديمقراطية بحال ! وهذا ما دندن عليه بعض علماء الإجتماع في الغرب – وهذا من حفظ الله لهم – والدليل على ذلك أن لبنان وهي الكيان الوحيد الأقرب للنظام الديمقراطي في العالم العربي هو نفسه أكثر هذه الأنظمة إضطرابا ولذلك نرى أن مع كل أزمة سياسية في لبنان يتجدد الحديث عن الحرب الأهلية ! ولو قلنا أن لبنان له خصوصية فهذا العراق يرزح تحت عتبات الظلم والفقر والتناحر مع أن نظامه الديمقراطي قد صنع على عين أمريكا فالمشكلة ليست في النظام الديمقراطي – على مساوئه – على وجه التحديد ولكن في طبيعة العرب وخصائصهم الإجتماعية التي لا تنقاد إلا للقوي ! فالبرامج التي وضعها الخبراء والمختصين الأمريكان في النمو الثقافي والإجتماعي وللتحول نحو الإقتصاد الحديث والنظام الديمقراطي كان من الممكن أن تأتي أكلها لو كانت في بلدان أمريكا الجنوبية أو شرق آسيا أو حتى وسط أفريقيا ولكنهم وبعد أن أنفقوا مئات الملايين على هذه البرامج إكتشفوا أنهم كانوا يحرثون في مياه البحر !

وبالعودة إلى الثورات العربية نرى أن المحصلة الأولى لهذه الثورات هي إزالة النظام القوي الوحيد في البلد ومن ثم تحدث حالة من " توازن القوى " بين المكونات الأخرى سواء كانت بقايا نظام سابق أو الجيش أو المعارضين التقليديين أو شباب الثورة أو الأحزاب الإسلامية أو العلمانية أو غيرهم وعندما لا تنجح هذه المكونات في تحقيق التوافق المطلوب لتشكيل النظام الجديد الحاكم بفعل خصائصهم الإجتماعية التي لا تساعدهم على ذلك تبدأ سحب من الفوضى تتشكل شيئا فشيئا حتى تعم كل شيء وهذا ما بدأت ملامحة تتضح في البلدان التي ضربها زلزال الثورات العربية حتى الآن ففي تونس وحدها تلقت وزارة الداخلية ١٠٠ طلب ترخيص لأحزاب سياسية وافقت على ٨٠ منها ومازال البلد في نزاع فكري حول هويته وأهداف ثورته ومع أن الثورة أطاحت بن علي ثم أطاحت ببقايا النظام إلا أن فرنسا مازالت تتمسك بتونس كمجال حيوي لها ومازالت تحتفظ بأوراق جيدة ومنها ماكشفه وزير الداخلية المقال بأن جنرالات الحرب في الجزائر يحرضون قادة الجيش التونسي على تنظيم إنقلاب في حالة وصول الإسلاميين إلى السلطة تماما كما فعلوا هم مع جبهة الإنقاذ عام ١٩٩٢ وفي كلا الحالتين يكون الدعم والغطاء فرنسي !

أما في مصر فالوضع أكثر خطورة وأشد تعقيدا فالبلد تتجاذبه خمس مراكز قوة متباينة في رؤاها لطبيعة الدولة فيما بعد الثورة وهم المجلس العسكري والنصارى والتيار الإسلامي والتيار العلماني وشباب الثورة ولكل مركز من هذه المراكز أجندة خاصة يريد تحقيقها فالمجلس الأعلى إستلم السلطة في ظل وضع إستثنائي وكحل وحيد لظمان إستقرار مصر وكان العشم الإقليمي والدولي أن يكون المجلس خير خلف لخير سلف إلا أن المجلس إصطدم بواقع مغاير تماما لما كان عليه قبل الثورة فالوضع الأمني سيئ جدا وثلاث محافظات ترفض عودة جهاز أمن الدولة والدولة نفسها على حافة الإفلاس وضغط الشارع حال دون حماية رموز النظام السابق وإنفلوانزا الإضطرابات والإعتصامات متفشية في الدوائر الحكومية ولا أدل على ضعف أداء المجلس من أن الدولة التي كانت تمارس دورا إقليميا في ضبط الأمن لم تستطع توفير الحماية لأنبوب غاز سيناء – إسرائيل والذي تم تفجيره أربع مرات حتى الآن ! أما النصارى فهم يشعرون أنهم الخاسر الأكبر من جراء هذه الثورة ولذلك خرجت بعض الأصوات فيهم تنادي بإستقلال الأقباط في دولة لوحدهم وهو مشروع قديم جديد مدعوم من أقباط المهجر ومن بعض الدوائر السياسية في واشنطن وإتحاد الكنائس العالمي ومع كل مواجهة دموية مع المسلمين تخرج أصوات أخرى تنادي بالتدخل الدولي لحماية الأقباط وقد يقول قائل أن هذه النداءات لا تعدوا عن كونها ردات فعل صوتية أو حالة من التنفيس عن الغضب تمضي لحالها بزوال أسبابها إلا أن قيام نصارى مصر في الآونة الأخيرة بشراء السلاح بشكل مكثف وبأي سعر قد يدل على غير ذلك !

أما الأحزاب الإسلامية سواء كانوا إخوان أو سلف أو منشقين عنهم أو مستقلين فهم اللاعب الأقوى على صعيد الشارع المصري وقد أثبت إستفتاء الدستور وجمعة الإرادة الشعبية صحة هذا الإفتراض ، أما التيار العلماني فقد دخل في صراع فكري مع التيار الإسلامي في محاولة للحفاظ على النمط العلماني للدولة وقد دخلت بعض أطرافه في تعاون علني مع الولايات المتحدة الأمريكية التي إعتمدت ميزانيات خاصة لدعم أحزاب بعينها ! أما مركز القوة الخامس فهم شباب الثورة وهم أحد أضلاع الفوضى في مصر فتضحياتهم الكبيرة جعلت الثورة ترتبط بإسمهم وهذا ما فرض عليهم مسئولية حماية الثورة ضد المتلاعبين وهذا الدور هو ما جعلهم في حالة صدام شبه دائم مع المجلس الأعلى !

وبهذه التركيبة الغير متلائمة يتضح لنا أن الأوضاع لن تهدأ على المدى القريب والمتوسط إلا أنني أعتقد أن المعركة الأهم سوف تتركز بين القوى العظمى والتيار الإسلامي وستعمل الأولى على إحتواء خطر وصول التيار الإسلامي للسلطة في مصر وذلك بالتعاون مع التيار العلماني وبوضع العراقيل أمام أي خطط تنموية لأي حكومة ذات صبغة إسلامية وهذا ما سيعيد مشهد الحالة السياسية للحكومة المقالة في غزة ! وهناك سيناريو آخر ولا أعتقد أنه بعيد أيضا – وقد رجح حدوثه د.أيمن الظواهري – ويتمثل ذلك بقيام المجلس العسكري بدور حماية علمانية الدولة تماما كالدور الذي يلعبه الجيش التركي في تركيا ، أما بقية الأنظمة العربية فقد إستفادت من دروس

ثورتي تونس ومصر فمنها من اختار المهادنة والنزول عند رغبات الشعب إلى أقصى حد ممكن مثل الأردن والمغرب وعمان ومنها من اختار المواجهة الدموية منذ البداية مثل ليبيا وسوريا واليمن ومنها من أشعل الحمية الطائفية ليتخندق معظم الشعب خلفه مثل ما حصل في البحرين والسعودية والكويت إلا أن هذه الإجراءات لم تتعدى كونها مسكنات مؤقتة ! فالحالة الثورية في الشارع العربي أثبتت أنها أشد من العنف المقابل والمهادنة لم تجلب سوى المزيد من المطالب أما أذكياء الخليج فقد لعبوا دورا أكبر من حجمهم الطبيعي فإثارة الطائفية والتي كانت مخرجا لهم من الثورة جعلتهم في مواجهة غير متكافئة مع إيران وبدأوا يدركون بأن الحرب قد تكون على الأبواب ! طبعا هناك بلدان لا تحتاج إلى ثورات حتى تدخل في الفوضى كالبقية فاحتمال إشتعال الحروب الأهلية والطائفية في السودان والعراق ولبنان إحتمال كبير جدا وله من الأسباب ما ليس لغيره ..

ومن هنا نستطيع القول بأن المنطقة العربية مقبلة على مرحلة طويلة من الصراعات الداخلية والإقليمية ولا أجد عنوانا مناسبا لهذه المرحلة سوى [الفوضى العارمة] لأن ضريبة النزاعات السياسية والعسكرية في مثل هذه الحالة ستكون على حساب الأمن ولقمة العيش وهذا ما سيجعلنا نشهد هجرات كالتي حدثت من فلسطين ومجاعات كالتي حدثت في الصومال ومذابح كالتي حدثت في البلقان والحقيقة أن الأحداث الأخيرة في سوريا قد جمعت مسبقا بعض هذه المشاهد المؤلمة كمقدمة لا تبشر بخير عن عنف هذه المرحلة ! وفي اعتقادي أن المجتمع الدولي سيعجز عن التعامل مع هذا الحجم التاريخي من الفوضى بل وسيفشل في احتواء تأثيراته عليه ! فإنهيار هذه الأنظمة أو إنغماسها في مشاكلها ونزاعاتها الداخلية سيؤدي إلى تعطيل جميع الأدوار التي كانت تلعبها على المستوى الدولي والإقليمي في السابق فإنهيار منظومة دول الطوق المحيطة بإسرائيل سوف ترجع المواجهة الشعبية مع اليهود كما كان الحال في أواخر الستينات في عمليات الفدائيين على الحدود الأر دنية والمصرية والسورية واللبنانية ، وتوقف العمل بالبروتوكولات الخاصة بمراقبة الحدود والسواحل سوف تجعل المجاهد يسافر من سيدي بوزيد إلى غزة لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه !! وقد أبدت بعض التقارير الغربية خشيتها من أن الفوضى في مصر وليبيا وتونس قد تؤدي إلى إنسياح الجماعات الإسلامية المصرية في الشمال الأفريقي بما فيها من كوادر وطاقات بشرية ! ومن سوء حظ المجتمع الدولي أن المنطقة العربية تضم ثلاثة مضايق بحرية بالغة الأهمية لخطوط التجارة العالمية والأخطر من ذلك أنها تضم الحزام النفطي الأهم في العالم وأي نزاع بهذا الحجم المتوقع سيقفز بأسعار النفط إلى مستويات لم تبلغها من قبل ولن تكون السعودية قادرة على ممارسة دورها القديم في زيادة الإنتاج لخفض أسعار النفط ، والمعروف أن خطط إستخدام الإحتياطي الإستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوربية تكفي هذه الدول لمدة تتراوح بين الشهرين إلى ثلاثة أشهر وأي حرب في الخليج في ظل الفوضى العارمة في المنطقة ستحرم هذه الدول من النفط لمدة طويلة جدا والمشكلة أن الغرب قد ربط حياته وجل صناعاته حتى الدوائية منها بمادة النفط ومشتقاته وأي توقف في إمدادات النفط هو توقف حقيقي للحياة في الغرب وقد شاهدنا ما فعله توقف النفط الليبي في الأسواق العالمية فماالبال إن توقف الإنتاج الإيراني أو إنتاج دول الخليج ؟ ونحن نتحدث هنا

عن نسب عالية من الإنتاج العالمي ككل ! وحتى نقترب من الصورة الواقعية للأحداث القادمة يكفي أن نقلب في صفحات الحروب الأهلية في لبنان والصومال ففي كل بلد منهما نشب نزاع مسلح في ظل " توازن للقوى " أدى إلى حالة من الفوضى العارمة في كل شيء .. فالخدمات الأساسية توقفت والعملة المحلية لا قيمة لها وفقد الأمن وانتشرت عصابات قطع الطريق وأصبحت المدن والأحياء تتبع وتعود لتقسيمات قبلية أو طائفية أو حزبية .. هذا في ظل مجتمع قادر على التدخل والحد من تبعات الحدث أما ما نحن بصدده فهو أشبه بلبنان كبير أو صومال ضخم لن يقوى المجتمع الدولي على التعامل معه ! والتاريخ يشهد بأن القوى العظمى مع أدواتها المحلية لم تستطع حل القضية اللبنانية إلا بعد مضي أكثر من ١٥ عام أما الصومال فلم ينجحوا في إيجاد حل له حتى الآن ولم يسلموا من تأثيرات الوضع الصومالي فمازالت القرصنة تهدد الملاحة العالمية ومعظم الولايات الصومالية في أيدي حركة شباب المجاهدين المسجلة على لائحة الإرهاب .. وهذا العجز الدولي في التعامل مع الحالة العربية سيكون بجانب تعارض مصالح القوى العظمى في المنطقة وهذا ما سيزيد عجزهم عجزا !

والسؤال الآن : ماهو الدور الذي يمكن أن يلعبه التيار الجهادي في هذه المرحلة الخطيرة من عمر الأمة ؟ وما هو المشروع الذي يمكن أن يدخل فيه هذه المرحلة ؟ وما هي فرص نجاحه ؟

في البداية أقول أن في ظل هذه الفوضى المرتقبة لن يكتب للمشاريع الجزئية أي فرصة للحياة في الأوضاع الجديدة فإن أضفنا إلى ذلك أن حجم التواجد الذي يحققه التيار الجهادي في البلدان العربية متواضع جدا ومبعثر فهذا يجعل من أي جهد مستقل هباء منثورا ولا أقصد هنا ترك العمل بإستراتيجية الجهاد العالمي وضرب الحلف الصهيوصليبي في أي مكان فهذه مسألة سيأتي الحديث عنها إن شاء الله وإنما المقصود هنا هو البحث عن أفضل وأكمل الإستراتيجيات للدخول في هذه المرحلة واستثمار ظروفها الطارئة فهذه هي التي ستضيع فيها الجهود المستقلة إن لم توظف في هدف عام !

وحتى أخرج من دائرة التنظير أقول أن الشعوب العربية قامت بهذه الثورات لتحصل على واقع أفضل من ناحية الحرية والكرامة و المستوى المعيشي وغيره .. وعندما يدرك العرب أن الديمقراطية لا تقدم لهم أيا من ذلك خاصة عندما يرون بأم أعينهم أن دعاة وأرباب الديمقراطية من الدول الغربية هم أكثر من يفسد عليهم الديمقراطية نفسها بتدخلاتهم الخبيثة في الشأن الداخلي وتبدأ بالتوازي مع ذلك دوامة الفوضى والحروب الطائفية والأهلية بالعمل وتبدأ معها توابع الحروب بالظهور كالهجرات والمذابح والدمار .. هنا ستتهيأ نفسية هذه الشرائح المتضررة وهم السواد الأعظم من هذه الشعوب للترحيب بأي " قوة " تستطيع توفير الأمن والإستقرار ولو كانت قوة أجنبية ! وهذا ما حدث مع الفلسطينيين عندما إلتجؤا إلى الجيش الإسرائيلي من هول مالاقوه على يد الكتائب النصرانية في صبرا وشاتيلا وهو ما حدث أيضا مع الكويتيين والسعوديين عندما رضوا بنزول القوات الأمريكية في جزيرة

العرب خوفا من بطش صدام حسين ! طيب .. وعندما لا تجد القوى العظمى مصلحة في التدخل أو تعجز عن ذلك كما هو متوقع يكون الحل الوحيد على يد قوة " بالمواصفات المحلية " وهذا هو عين ما حدث مع حركة طالبان في قصة سيطرتها على أفغانستان ووصولها إلى سدة الحكم في كابول ..فالقوى المتوازنة في أفغانستان والتي كانت تتمثل في الأحزاب الأفغانية لم تتوافق ديمقراطيا فيما بينها ونشب نزاع مرير طال الأخضر واليابس وبدأت معه موجات النزوح وفقدان الأمن وغيره وانعدم الإهتمام العالمي بهذه البقعة بعد زوال الخطر الروسي عنها فأتت حركة طالبان كضرورة يفرضها الواقع فكفوا أيدي المعتدين وأمنوا السبل وفرضوا الأمن بقوة السلاح وبدأوا في منطقة "سنج سار" ثم "كشك ذخود" ثم وصلوا إلى قندهار فتسامع بهم الناس وتوالت عليهم الدعوات من المدن والقرى بالقدوم عليهم حتى دخلوا كابول عام ١٩٦٦ فحركة طالبان في المثال السابق لم تقدم أي مشاريع تنموية أو رؤى سياسية ولم يكن لها رصيد جماهيري كبقية الأحزاب حتى تكسب ترحيب وقبول الشعب الأفغاني إنما إمتلكوا السلعة الوحيدة التي يبحث عنها الشعب وسط تلك الفوضى وهي الأمن الذي نجحوا في توفيره بتوفيق الله سبحانه وتعالى .

وأنا أدرك الآن أن من سيقرأ هذا الكلام سيتهمني بالخيالية والبعد عن الواقع وأدرك أيضا أن الناس بطبيعتهم منحازين للواقع بتفاصيله المتكررة من حولهم وهذا ما يجعل الأكثرية لا تؤمن بأن شيئا ما يمكن أن يحدث .. ومن يقر أ في مذكرات الساسة الأوربيين في الحرب العالمية الأولى والثانية يجد أن الأجواء السياسية كانت تنبأ عن حرب قادمة لا محالة ولكن لم يكن من بينهم من يريد تصديق ذلك ! وهذا في الأصل يرجع لأساس علمي في تصورات الإنسان عما يجري حوله وقد أجرى بعض الباحثين في الولايات المتحدة الأمريكية إختبارا مفيدا لإيضاح هذه الفكرة فخلال هذه التجربة عرضت ٢٠ صورة تمثل (كلبا) يتحول تدريجيا إلى (قطة)وكان التبديل الطارئ بين كل صورة وأخرى طفيفا جدا ولكن الصورة الأخيرة كانت لقطة بدون شك والأشخاص الذين شاهدوا العرض بكامله شعروا بالتبدل عند الصورة ١٨ أو ١٩ أي أن الكلب قد أصبح ٩٠بالمئة قطة آنذاك في الوقت الذي كان فيه الجميع يعتقدون أنه مازال كلبا ! ونحن كذلك قد تصل بنا الأحداث إلى أعماق مرحلة الفوضى التي نحن الآن على مشارفها ونحن لا نزال نظن أو لا نريد أن نصدق أن الأمر قد حدث وأن العالم قد تغير من حولنا !

طيب .. بما أننا نتوقع دخول المنطقة في مرحلة الفوضى العارمة والتي بدت ملامحها الآن فيجب ألا نكتفي بمشاريع عسكرية تستثمر الواقع الجديد دون أن يكون لدينا رؤية واقعية لما يمكن أن نقوم به من أدوار سياسية واقتصادية بعد مرحلة التمكين الأولى وبمعنى أدق أقول يجب أن نقدم مشروع متكامل يعالج كافة التحديات على المستوى المحلي والإقليمي والدولي وهذا يذكرني بظرف مماثل عندما اجتمع بعض الخبراء الأمريكيين أثناء الحرب العالمية الثانية ليتدارسوا ما يمكن للولايات المتحدة الأمريكية أن تجنيه من تلك الحرب .. وقد علق د.عبدالحي زلوم في كتابه "نذر العولمة" على طبيعة تلك الإجتماعات وبعض الفقرات من الدراسات المنبثقة عنها بالآتي

(.. وعند تلك المرحلة من التاريخ الأمريكي لم يكن هناك مخصصات لوزارة الخارجية الأمريكية لحشد الأموال والموظفين اللازمين لإجراء مثل تلك الدراسات ولذلك فقد وافق القائمون على وزارة الخارجية على مقترحات المجلس وعندما وضعت الحرب أوزارها كانت المشاركة بين الجانبين قد أنجبت ٦٨٢ مذكرة سرية للحكومة وقامت مؤسسة روكفلر بتقديم جزء من التمويل اللازم لهذه المهمة .. فيما يلي مقتطف من مذكرة سرية من المجموعة الإقتصادية والمالية المنبثقة عن المجلس ومؤرخة في شهر إبريل ١٩٤١ وقد إعترف محررو المذكرة أن الإقتصاد العالمي المقترح مصمم لخدمة "الإمبريالية الأمريكية " مستخدمين هنا نفس الكلمات التي أوردوها وكانت الخطط بالغة التفصيل إلى درجة أن الكيفية التي يجب على الناس أن يتقبلوا بها هذه الخطط قد أسهب شرحها وبيانها " إذا تم تحديد أهداف الحرب وهي أنها معنية فقط بالإمبريالية الأنجلوأمريكية وأنها لن تعود بشيء يذكر على بقية شعوب الأرض فإن الإعلان عن مثل تلك الأهداف قد تضفي القوة على أكثر العناصر رجعية في الولايات المتحدة الأمريكية والإمبراطورية البريطانية ، إن مصالح الشعوب يجب إبرازها لا بالنسبة للأوروبيين فحسب بل أيضا لأولئك المتواجدين في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية إن ذلك سيعطينا تأثيرات دعائية أفضل" ويوم الرابع والعشرين من تموز ١٩٤١ حددت المذكرة رقم EB ٣٤ التي أعدها المجلس ورفعها إلى الرئيس روزفلت مفهوم المنطقة الكبرى Grand Area وهي المنطقة حسب ما حددتها المذكرة التي يجب أن تهيمن عليها الولايات المتحدة الأمريكية لظمان المواد الخام والأسواق ، وقد أوصت هذه المذكرة بإقامة منظمة مالية تتولى الإشراف على الإستقرار في أسعار العملات الأجنبية مع توفر السيولة الكافية لتسهيل العمليات التجارية وقد تم تطبيق هذه التوصية وأنشأت المؤسسة التي أطلق عليها اسم صندوق النقد الدولي ، كما أوصت المذكرة بإنشاء مؤسسة مالية أخرى تكون مسؤولة عن توفير رأس المال الإستثماري لتمويل المشاريع التي يزمع إقامتها في المناطق المذكورة ضمن خطة المنطقة الكبرى لتطوير النمو الإقتصادي فيها وقد تم تنفيذ هذه التوصية أيضا وسميت المؤسسة الوليدة البنك الدولي للإنشاء والتعمير الذي اشتهر باسم البنك الدولي world Bank . ومن المثير أن ننوه أن هذه الدراسات افترضت أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت ستدخل الحرب قبل إعلانها كما افترضت أن الحرب ستنتهي بانتصار الولايات المتحدة وحلفائها) إنتهى.

وما أحاول أن أقوله من خلال هذه الأوراق أننا نتوقع ظروف مشابهة في المنطقة العربية من حيث الفراغ الذي سينجم عن مرحلة الفوضى العارمة ولذا يجب أن يكون لدينا مشروع متكامل للمنطقة فكما أن فكرة الثورة إنتقلت وتسللت من بلد لآخر بسبب تشابه الظروف والمعطيات والقواسم المشتركة كاللغة والدين والتاريخ والعادات فيجب أن يحظى مشروعنا للمرحلة القادمة على فكرة قادرة على عبور الحدود والتحرك بين الناس ومخاطبة أحلامهم وتطلعاتهم كما فعلت فكرة الثورة وهذا يقودنا إلى الفكرة الوحيدة التي يمكن أن تجمع شتات العرب والمسلمين عامة ألا وهي الخلافة .. فالخلافة الإسلامية هي المشروع السياسي الوحيد الذي سيعيد

الإستقرار والأمن للمنطقة وهو المشروع الوحيد الذي سيحفظ ثروات الأمة من مؤامرات الدول العظمى وهو الوحيد أيضا الذي سيعيد قبلة المسلمين الأولى وغيرها من الأهداف الكبرى و المشتركة .. ولكن كيف ؟

المذكرة الإستراتيجية [٢]

قرب إنهيار النظام العالمي وتفكك نظام سايس – بيكو

منذ العام ١٩٢٣ وهو تاريخ توقيع إتفاقية لوزان بين أتاتورك والإنجليز والتي كان من أهم بنودها إلغاء الخلافة الإسلامية بقي المسلمون منذ ذلك التاريخ بلا رأس يقودهم وبلا كيان يجمعهم ومنذ ذلك التاريخ حتى يومنا هذا لم تنجح أي محاولة في إرجاع وإعادة هوية المسلمين السياسية المتمثلة في الخلافة الإسلامية وهذا الفشل يعود لطبيعة عمل (منظومة الأنظمة الراعية والعميلة) فكل المشاريع التي سعت لإعادة الخلافة أو تطبيق الشريعة تم إجهاضها بفعل أحد هذين الجناحين أو بالتعاون فيما بينهما ، فالحكومات الإسلامية التي قامت في أفغانستان١٩٩٦ والشيشان١٩٩٦ والصومال٢٠٠٦ والعراق ٢٠٠٦ تم إجهاضها بالتدخل المباشر وشبه المباشر من القوى العظمى وكل الجماعات الجهادية التي قاتلت من أجل إعادة الخلافة وتطبيق الشريعة في سوريا ١٩٧٩ والجزائر ١٩٩٢ ومصر ١٩٩٥ تم إجهاضها بفعل الأنظمة العربية العميلة ، فهذا النظام الدولي المتوافق عليه بين الدول العظمى الراعية للمنطقة والأنظمة العميلة يمنع منعا باتا قيام مثل هذه الكيانات السياسية والعسكرية لما لها من خطر عظيم على النظام العالمي الذي يقوم بالأساس على جعل هذه المناطق كمجال حيوي للقوى العظمى وأي عودة لمشروع الخلافة الإسلامية سوف يحرمها من ذلك بل وسيفسد عليها نظامها العالمي المتوافق عليه دوليا وللعلم فإن كل الحكومات الإسلامية التي تمتعت بفترة من الوقت على سدة الحكم كانت تشعر بأن ذلك الوضع إستثنائي وأن مسألة إزالتها من موقع الحكم مسألة وقت لا أكثر وهذا ما حدث مع طالبان وحكومة الشيشان وحكومة المحاكم الإسلامية – لما كانت إسلامية – في الصومال فطالما أن منظومة الأنظمة الراعية والعميلة تعمل فلا مجال في ظل هذا النظام لأي مشروع سياسي إسلامي أن تكتب له الحياة – إلا أن يشاء الله – ولو كان المشروع مشوها أو لا ينادي بتطبيق الشريعة أو إعادة الخلافة كحكومة حركة حماس أو جبهة مورو الإسلامية وقد أدرك الرئيس السوداني عمر البشير هذه النقطة بعد أن قام بتطبيق الشريعة في السودان بادئ الأمر فرضخ للضغوط الغربية وألغى العمل بالشريعة الإسلامية ثم أصبح يستخدم ورقة تطبيق الشريعة كأداة ضغط وتهديد إن استمرت العقوبات المفروضة عليه من مجلس الأمن والمحكمة الدولية ! وهذا ما أدركه أيضا أحد مفكري التيار الجهادي قديما عندما قال أنه لا يمكن قيام دولة إسلامية بالمعنى الصحيح إلا عندما يزول أو يتغير هذا النظام الدولي ! .. وهذا ما بدأ يحدث الآن .. ولكن كيف ؟

عندما كنت أراقب خط سير الثورات العربية كنت ألاحظ أن سقف تأثيرات كل حدث يرتفع عما قبله بشكل مطرد وكأنها كرة ثلج كلما استمرت في التدحرج كلما إزداد حجمها ! فعندما سقط نظام بن علي سقطت معه

نظرية القبضة الأمنية الحديدية وبدأت الشعوب العربية بكسر حاجز الخوف الذي طالما حال بينها وبين المطالبة بحقوقها وعندما سقط نظام مبارك بدأ الحديث عن تآكل دور مصر الإقليمي في دعم التوجهات الغربية في المنطقة وعندما اشتعلت الثورة في ليبيا أصبحت المخاوف تتجاوز حدود العالم العربي إلى الداخل الأوربي بسبب المخاوف المتزايدة من الهجرات الجماعية وإلى العمق الأفريقي بسبب عمليات تنقل المقاتلين وتهريب السلاح على طول الشمال الأفريقي – الآن المخاوف أكثر بكثير بعد سيطرة المجاهدين على طرابلس وانطواء الثوار تحت قيادتهم – وهكذا شيئا فشيئا حتى تفجرت الأوضاع في اليمن فارتفع بذلك سقف المخاوف الدولية بالتزامن مع أحداث الثورة في سوريا التي أنذرت وبشرت بإنهيار منظومة دول الطوق من حول إسرائيل ، وأصبح المراقبون يسجلون حالات عجز سياسي وعسكري وإعلامي للحد من تأثيرات الثورات العربية حتى على المستوى العالمي بعد أن أصبح الربيع العربي كما يطلق عليه الغربيون ملهما للشعوب الأوربية ودافعا للحركات الشبابية والعمالية لرفض خطط التقشف الإقتصادي واحتجاجا على الفساد المالي في اليونان وأسبانيا وغيرها والمضحك أن اليهود أنفسهم تأثروا بجيرانهم وقاموا بإستخدام العبارة العربية الشهيرة [الشعب يريد إسقاط النظام] أثناء المظاهرات المنددة بمشكلة السكن والغلاء !

وهذا النمو المتسارع لسقف تأثيرات الثورات العربية يرجع لأسباب عديدة يعجز المرء عن وصفها أو وضع ضوابط معينة لها فكل ما في الثورات العربية يدعو إلى التصعيد والإستمرار ولكني أسجل هنا أن سقوط نظامي بن علي ومبارك حرر كثيرا من القيود التي كانت تكبل شريحتي الإعلاميين و العلماء في السابق وأصبحنا نرى شفافية أكثر في عرض الحقائق ونقد السلطة وتسمية الأشياء بأسمائها دون حرج أو خوف ! بل وأصبحنا نرى معسكرات إعلامية موجهة ضد بلد معين لدعم الثورة بداخله ومعسكرات أخرى من القنوات الإعلامية والهيئات الشرعية ضد نظام آخر وهكذا .. وتحرير الخطاب الإعلامي والشرعي سيكون له بالغ الأثر في كشف المحاولات المحلية والدولية للإلتفاف على الثورات العربية وهذا ما بات يدركه رجل الشارع العربي يوما بعد يوم ولذلك لم يفلح رجال الصف الثاني في نظامي مبارك وبن علي في البقاء على رأس السلطة وهذا يرجع لوعي الشارع العربي بحقيقة الأمور وهذا بفضل الله ثم الشفافية التي حققها الإعلام بعد عصر الثورات العربية ، والمقصود من هذه الفقرة أن تأثيرات الثورات العربية لن تقف عن حد إسقاط بعض الأنظمة وانكماش أنظمة أخرى على نفسها في مدافعتها للمد الثوري بل ستتعدى إلى أبعد من ذلك فهذه القوة الدافعة للشارع العربي في مقابل بقايا الأنظمة التي ستقاتل دفاعا عن وجودها وفي ظل سيادة الفوضى العارمة على الموقف ستتسبب في إحداث حالة من الشلل العام في منظومة التعاون العربي وفي قدرة كل نظام عربي على تقديم المساعدة لنظام آخر وهذا الجمود الناتج عن سقوط بعض الأنظمة وتداعي بعضها الآخر هو تدمير حقيقي لأعمدة نظام سايس وبيكو ! لأن هذه الفوضى العارمة ستخضع خارطة العالم العربي لتعديلات جديدة على موازين القوى السياسية والعسكرية وستخلق مساحات خالية من السيطرة المركزية وستجلب تحالفات جديدة للمنطقة وستحيي بنفس الوقت الولاء للقبيلة والطائفة والعرق ،

وهذا ما سيجعل الحركة داخل المنطقة العربية لا تخضع للحدود المتعارف عليها والتي صنعت على عين سايس وبيكو بتلك المقاييس التي راعت صغر حجم بعض الدول كالبحرين ولبنان حتى تلتزم بالولاء للدولة الراعية مقابل الحماية من تسلط المحيط الأكبر منها وكبر حجم دولا أخرى حتى تلعب دورا إقليميا في إدارة المنطقة بالنيابة ، وبما أننا نتحدث عن سقوط وشيك لنظام سايس وبيكو في المرحلة القادمة فهذا يعني أن أحد جناحي منظومة الأنظمة الراعية والعميلة سيتم تجاوزه وبقي أن ننظر في موقف الجناح المتبقي .. هل هو بنفس القوة التي كانت تخوله من إلغاء مشاريع إعادة الخلافة كما في السابق أم أن هناك شيئا ما قد تغيير ؟

الحقيقة أني أكتب هذه الكلمات في الوقت الذي يتناطح فيه الكونجرس مع الإدارة الأمريكية لرفع سقف الدين الأمريكي وتفادي إعلان الولايات المتحدة الأمريكية إفلاسها والحقيقة أني قد أجد من يجادل في أن أمريكا قد تتعرض للإنهيار الكامل في إتحادها الفيدرالي ولكني لا أجد من بين خبراء السياسة والإقتصاد المعتبرين من يجادل في أن أمريكا ستترك دفة قيادة العالم وستنكمش على نفسها من وراء المحيط كما فعلت في أعقاب الحرب العالمية الأولى ولكن الفرق في أن سياسة العزلة التي إنتهجها الرئيس الأمريكي ويلسون في ذلك الوقت كانت في ظل إتحاد فيدرالي ورأي عام إختار تلك السياسة بعد أهوال الحرب العالمية الأولى ولم يرغم عليها كما هو متوقع الآن ! فالحرب التي خاضها تنظيم القاعدة ضد التحالف الصهيوصليبي وزعيمته أمريكا قد تسببت للأخيرة بحالة غير مسبوقة من الإستنزاف الإقتصادي ويكفينا دلالة على ذلك أن الإدارة الأمريكية أعلنت الحرب على الإرهاب – كما تسميه – وكانت ميزانية البنتاغون للسنة التي تلي ذلك الإعلان تعادل جميع ميزانيات وزارات الدفاع في دول العالم مجتمعة ولم تمر عشر سنين على هذه الحرب حتى أصبحت أمريكا نفسها على حافة الإفلاس !! كنتيجة مباشرة لضربات الحادي عشر من سبتمبر وما تلاها من حروب [أنظر كتاب : حرب الثلاثة آلاف مليار التكلفة الحقيقية للحرب في أفغانستان والعراق .. تأليف برفوسور ستيغليتيز الحائز على جائزة نوبل في الإقتصاد والباحثة وليندا بيلمس] والمشكلة هنا أن أمريكا لم تترك من خلفها من يستطيع ملأ الفراغ من بعدها بنفس الكفاءة والمقدرة ! وعجز بريطانيا وفرنسا عن التعامل مع الحالة الليبية بدون الدعم العسكري الأمريكي خير دليل على ذلك فأمريكا – كانت – قوة غير مسبوقة في قدراتها السياسية والعسكرية والإقتصادية فقد حققت أمريكا هيمنة شبه كاملة على المؤسسات الدولية كالأمم المتحدة ومجلس الأمن والبنك الدولي وصندوق النقد ومنظمة التجارة العالمية وهي المؤسسات المسؤولة عن إدارة السياسة والأمن والإقتصاد في العالم .. ولأمريكا بحسب تقارير البنتاغون ٧١٦ قاعدة عسكرية في ٣٨ دولة حول العالم وحققت أيضا تواجد عسكري في ١١٠ دولة ولها ربع مليون جندي في تلك القواعد ..وهي الدولة الوحيدة في التاريخ المعاصر التي استطاعت فرض نظامها الخاص على العالم كله ومعاقبة كل من يخرج عن هذا النظام كائنا من كان !

إذا فنحن أمام حالة أخرى من التوازن في القوى كما سيحدث عندما في المنطقة العربية ولكنها هنا على مستوى العالم والقوى الفاعلة فيه .. وبعبارة أخرى أقول أن النظام العالمي الحديث والذي تشكل بعد الحرب العالمية الثانية أسفر عن معسكرين لا ثالث لهما وأصبحت أمريكا والإتحاد السوفيتي قطبي الصراع الذي تدور حوله معظم دول العالم وميزة ذلك أن أي دولة في العالم أو حتى منظمة عسكرية أو سياسية – كمنظمة التحرير الفلسطينية – تدخل في نزاع عسكري أو سياسي مع طرف آخر محسوب على أحد القطبين تستطيع أن تحصل على الدعم المباشر عن طريق القطب الآخر وهذا ما حصل مع مصر بعد عام ١٩٦٧ فالرئيس المصري جمال عبدالناصر كان قد انتهج مبدأ الحياد وعدم الإنحياز في البداية ولكنه عندما دخل في نزاع مع إسرائيل المحسوبة على أمريكا إنظم تلقائيا إلى المعسكر السوفيتي ليحصل على الدعم بنوعيه السياسي والعسكري ، وهذه البيئة العالمية القائمة على القطبين كانت تعطي مساحة من المناورة للأطراف الأخرى وكل الحركات السياسية والعسكرية التي قادت الإنقلابات كانت تستفيد من هذا الجو بشكل أو بآخر فلما انهار ذلك النظام العالمي بانهيار الإتحاد السوفيتي بداية التسعينات وتفكك حلف وارسو ظهر النظام العالمي الجديد القائم على القطب الواحد المتمثل في أمريكا وتسبب ذلك الإنهيار في إنكشاف كل الأنظمة السياسية وخضوعها بنسب متفاوتة للسيد الأمريكي وأي إنهيار قادم لأمريكا سيجعل العالم بلا قوة قادرة على قيادته ونسج التحالفات اللازمة لإدارة الصراعات فيه وستفقد المؤسسات الدولية كالأمم المتحدة ومجلس الأمن القدرة على ضبط النزاعات وفرض العقوبات لعدم وجود لاعب رئيسي يدير ذلك وهي نفس الحالة التي مرت بها "عصبة الأمم" في أواخر الثلاثينات فأدت إلى إنهيارها لعدم وجود قيمة لقراراتها الغير مدعومة من قبل قوة مهابة بين الغابة الدولية ! وستحدث حالة من التوازن في موازين القوى بين روسيا والصين والهند وفرنسا وبريطانيا بالإضافة إلى ألمانيا واليابان بعد أن تتخلصا من القيود الأدبية المفروضة عليهما منذ الهزيمة الكبرى في الحرب العالمية الثانية وهذا ما سيجعل مساحة المناورة أكبر بكثير مما كانت عليه في عهد القطبين ! وأستطيع القول بأنه مع التفكك الوشيك لمنظومة الأنظمة الراعية والعميلة المتمثلة في انهيار نظام سايس وبيكو والنظام العالمي نكون قد وصلنا إلى المناخ الملائم للشروع في المراحل التنفيذية لمشروع إعادة الخلافة الإسلامية وبعبارة أوضح أقول أنه ولأول مرة منذ سقوط الخلافة في عام ١٩٢٣ يكون فيها رحم الأمة قابلا للإحتفاظ بجنين الخلافة ! ... ولكن كيف ؟

[نظرية الذراعين]

عندما نريد التحدث عن مشروع بضخامة إعادة الخلافة الإسلامية فإن الحديث سيقودنا إلى مراعاة العديد من المبادئ والشروط اللازمة لنجاح الفكرة وبما أننا ناقشنا مسألة المناخ المناسب لولادة مثل هذا المشروع فلم يعد علينا إلا البدء في وضع الشروط اللازمة لذلك وتحديد ملامح الإستراتيجية التي يمكن العمل من خلالها في هذه المرحلة وقبل البت في ذلك أقول أن كل المشاريع الناجحة قد بدأت بحلم ! وقد قص علينا التاريخ قصصا وحكايات

لأناس لم يأبه لهم في البداية إلا أن آرائهم غيرت مجرى الأحداث والحروب بعد ذلك ومنهم الصحفي الإنجليزي " ليدل هارت " والذي شارك في صفوف الجيش البريطاني في الحرب العالمية الأولى ورأى بأم عينه مآسي حروب الخنادق ومدى الجمود الذي تحدثه في مسار الحرب فقرر أن يبحث فيما يمكن أن يقلب موازين الحروب ويكسر ذلك الجمود فكتب استراتيجيته الشهيرة [الإقتراب غير المباشر] والتي قوبلت بإستهجان شديد من قادة الجيش البريطاني وبإستخفاف مماثل من الصحافة البريطانية إلا أن هيئة الأركان الألمانية قد إنتبهت إلى ألمعية أفكار الرجل فوظفت ذلك في نظرية [الحرب الخاطفة] التي اجتاح بواسطتها هتلر غرب وشرق أوربا في الأعوام ١٩٣٩ و١٩٤٠ و١٩٤١ وهي السنوات التي يطلق عليها المؤرخون سنوات النصر ! والحقيقة أن نوعية هذه الأفكار قد لا تستوعبها العقول والأذواق في وقتها وقد تواجه بالتجاهل حتى لو خرجت ممن يأبه له وليس من صحفي مغمور فهذا عالم الذرة الذي بنيت القنبلة النووية على بنات أفكاره وصاحب النظرية النسبية الألماني "آنشتاين" قد سئل في إحدى المرات عن الحرب العالمية القادمة وبأي سلاح ستشعلها البشرية ؟ فأجاب : لا يسعني قول شيء .. فقيل له : إن أربعين محطة إذاعية وثلاثة آلاف صحيفة تنتظر جوابك ، فقال : لا يسعني شيء .. لست أدري .. وبعد إلحاح من السائلين عدة مرات أجاب : بالمقلاع !. فاستغرب البعض جواب آنشتاين السابق في ظل التطور الكبير في آلة الحرب ! إلا أن من يدقق في الجواب وأبعاده يرى أنه قريب جدا من الواقع ، فمع أن الحرب العالمية الأولى كانت تعتمد على الخيول والبنادق ومدافع الميدان إلا أن أعداد القتلى بلغت في أدق الإحصائيات ٣٧,٥٠٨,٠٠٠ ويشمل هذا الرقم أعداد الأسرى والمفقودين ، وانهارت نتيجة للحرب أربع إمبراطوريات وهي القيصرية الروسية والإمبراطورية الألمانية وامبراطورية النمساوالمجر والإمبراطورية العثمانية .. والحرب العالمية الثانية اعتمدت على نظم تسليح أفضل وانتهت بمقتل ٥٨,٨٠٠,٠٠٠ بحسب إحدى الإحصائيات بين عسكري ومدني وعادت بعض المدن في قلب أوربا إلى ما كانت عليه في العصور الوسطى بعد أن طال الدمار والقتل والتشريد كل شيء فيها وأي حرب عالمية بالسلاح النووي فلن تكون هناك مقدرة على إحصاء القتلى ولن تبقى هناك أي بنية تحتية لصناعات الأسلحة الحديثة وهذا ما سيلجأ الشعوب إلى العودة مرة أخرى إلى أسلحة القذف المباشر بل وإلى السيف والمقلاع أيضا ! ومن هنا نفهم جواب آنشتاين السابق . وما أريد أن أقوله هنا هو أن هذه التصورات التي نحن بصددها مبنية على مناخ قادم و على أساس مراعاة الجوانب السياسية والعسكرية والإقتصادية والتاريخية اللازمة لإنجاح مثل هذا المشروع الكبير وليست كلام فلسفي عن عالم غير الذي نعيش فيه ومن أجل ذلك أقول أنه من السهل علينا في ظل الأوضاع المرتقبة في المرحلة القادمة أن نستغل المساحات الجغرافية التي ستفتقد فيها السيطرة المركزية لإقامة إمارة إسلامية كنواة لمشروع الخلافة الإسلامية كمنطقة سيناء أو الأنبار أو واحات ليبيا أو دارفور والصحراء الغربية ونكون قد أقمنا حكم الله في منطقة جغرافية على من فيها من السكان ولكن ماذا بعد .. لاشيء .. لأننا في مثل تلك المناطق لا نستطيع من خلالها تحريك الشارع الإسلامي لأنها مناطق أقل أهمية بالنسبة لغيرها وقد تكون هامشية ولا تحظى تضاريس تلك المناطق بأي موانع وسواتر طبيعية نستطيع من خلالها تحييد الأسلحة المتفوقة لدى الأعداء كالطيران والمدرعات ولا يوجد في تلك المناطق ثروات

طبيعية يمكن إستثمارها في دفع عجلة التنمية وبناء القوات العسكرية إلا ما ندر وقد لا ننجح حتى في تأمين الحدود الدنيا من مستلزمات الحياة للسكان وأي عقوبات تجارية تفرض على مثل هذه المناطق سوف تجعلها في مأزق حقيقي بعكس لو كانت ذات إكتفاء ذاتي في المياه والغذاء والحاجات الأساسية .. ومراعاة هذه الجوانب تذكرني بالنقاشات الحادة بين يهود العالم في مؤتمر بازل عام ١٨٩٧فقد رفض المؤتمر إقتراح هيرتزل بجعل أوغندا أو الأرجنتين كموطن للمشروع القومي اليهودي مع أنه أثبت إمكانية أخذ الموافقة من سلطات الإستعمار على المساحات المطلوبة وحشد الأموال اللازمة لذلك ولكن الذي لم يدركه هيرتزل أن ميول اليهود لن تكون في غير فلسطين للبعد الديني و التاريخي الذي تمثله فلسطين لهم ولذلك تم إختيار فلسطين كمشروع قومي لدولة يهود يبدأ بمستعمرات زراعية وينتهي بإعلان الدولة خلال خمسين عام وهي الفترة ما بين المؤتمر الأول ١٨٩٧ وإعلان الدولة في ١٩٤٨ وأصبحت الدعاية اليهودية لحشد وتهجير اليهود وتعتمد على عدة مقومات لا تجعل لليهودي العادي أي مجال لرفض العرض لأن الهجرة إلى فلسطين ستوفر له فرص العمل والعيش المريح في أرض اللبن والعسل كما يسمونها وفوق ذلك وذاك فهي واجب ديني وتاريخي تجاه أرض الأجداد ولذلك اعتمدوا على شعار عاطفي يربطهم بالأرض وهو " العودة إلى جبل صهيون " ومن هنا ظهرت تسميتهم بالصهاينة !

وبودي أن أعرج على نقطة غاية في الأهمية قبل التعرض للإستراتيجية المقترحة وهي مسألة الحشد الفكري والعاطفي التي يجب أن تسبق الخطوات التنفيذية للمشروع فالأمة الإسلامية قد غيبت عن مفهوم الخلافة وأهمية ذلك الصرح في حفظ الدين و الأرواح والمقدرات ورفعة الأمة ، فمنذ سقوط الخلافة قبل حوالي ٨٨ سنة إلى الآن وعقول وأذهان وقلوب المسلمين لم تتذوق ولم تتربى ولم تتغذى إلا على الأفكار المستوردة كالوطنية والقومية والحزبية وهو ما زاد من التمايز بين المسلمين فأصبح العربي يعامل التركي كتركي والفارسي كفارسي بعض النظر عن دينه ثم تجزأت الفكرة القومية بعد ذلك إلى شظايا صغيرة وانتهى الأمر بواقع مرير مسحت أو ميعت في ثناياه عقيدة الولاء والبراء بين المسلمين ، ولأهمية مرحلة الحشد الفكري والعاطفي نجد أن تاريخ الصراع بين الدول والجماعات السياسية يبدأ دائما بالترويج للأفكار الخاصة عبر الأحزاب ومراكز الفكر والإعلام في كل بلد كالأحزاب النازية في الدول الأوربية التي مهدت للإنتصارات الألمانية في الحرب العالمية الثانية وكالأحزاب الشيوعية التي ساعدت على إنجاح الكثير من الإنقلابات حول العالم وكالجامعات الأمريكية التي تقوم بتشكيل طبقة من المثقفين الموالين للقيم و السياسات الأمريكية في كل بلد وهكذا أيضا على مستوى الدول التابعة فكل نظام ذا طابع فكري يمارس نوع حشد ودعاية مع الجمهور المحلي وغالبا ما تكون هذه الدعاية في مراحل مبكرة كطلائع البعث في سوريا واللجان الثورية التي كانت في ليبيا وغيرها من المؤسسات التي تعنى بتنشأة المجتمع على أفكار معينة تخدم وجود النظام ، ومن الأمثلة الحية على عملية الحشد الفكري والعاطفي في أيامنا هذه ما تمارسه الجماعات والمنظمات الكرية حول قضية [الدولة الكردية] فمع أن قومية الأكراد تنتشر على رقعة جغرافية تتقاسمها إيران والعراق وتركيا وسوريا وهي دول ذات تاريخ طويل في قمع الحركات الإنفصالية الكردية إلا أن

الأكراد نجحوا حتى الآن في بث فكرة الدولة الكردية فيما بينهم كمشروع يخلصهم من كل أنواع الظلم والتهميش الذي يتعرضون له في تلك الدول وأصبحت هذه الفكرة معقد آمالهم رغم كل المآسي التي يتعرضون لها جراء مجرد الحلم بذلك ! وقد آتت هذه الفكرة أكلها في شمال العراق عندما نجحت الأحزاب الكردية في تحقيق الإجماع الجماهيري على أحقية الأكراد بكيان مستقل عن باقي الدولة تمهيدا للإنفصال الكلي في مراحل قادمة وقد أزال أحدهم حالة الإستغراب من إجماع التيارات الكردية الإسلامية والعلمانية والإشتراكية على هذه الفكرة بقوله : كانوا يضعون لنا مشروع الدولة مع حليب الأطفال !! أي أن الأكراد صغيرهم وكبيرهم كان يصبح ويمسي على فكرة الدولة الخاصة بهم .

والجيد لنا في المرحلة القادمة أننا سنتمتع بمساحة من الحرية الإعلامية التي خلفتها الثورات العربية فيمكن ومنذ الآن اعتماد إستراتيجية بعيدة المدى تتضمن أدوات إعلامية متنوعة كالإصدارات المرئية والكتب والدراسات والمؤتمرات الصحفية والندوات الفكرية التي يمكن من خلال تكثيفها على مدى ٣ أو ٥ سنوات أن نخلق حالة من القبول الفكري أو على أقل تقدير أن نجعل مشروع الخلافة الإسلامية قضية مطروقة عند رجل الشارع العادي إذا ما أراد مناقشة الحلول للأوضاع من حوله ، وأعتقد أن قصة نجاح سيد قطب وعبدالله عزام رحمهما الله في إعادة نشر وإحياء بعض المصطلحات المطمورة خير مثال على ذلك فالأول قد كرس معظم مؤلفاته لشرح مصطلح الحاكمية وحقيقته في حياة المجتمع المسلم المعاصر والثاني قطع الأرض طولا وعرضا عبر مئات المحاضرات واللقاءات الصحفية والمؤتمرات والعديد من المؤلفات للتحريض على فريضة الجهاد وإعادة إحيائها في نفوس المسلمين ولا يجادل أحد في أثر كل منهما على الفكر الإسلامي ككل وعلى التيار الجهادي على وجه الخصوص ، ومن المهم الإفادة من التراث الذي تركه لنا بعض المفكرين من حزب التحرير وجماعة الإخوان المسلمين أو غيرهم حول مصطلح الخلافة وأهميته الدينية والسياسية والإقتصادية فمشروع كمشروع الخلافة يحمل في طياته العديد من الأفكار حول سوق إسلامية مشتركة ونظام دفاعي موحد وحقوق سياسية كفلها الشرع وأنظمة تربية وتعليم شمولي وغيرها من المقومات التي سعت بعض الأمم لإيجادها في صيغ مشتركة تضمن مصالحها العليا كالأمم الأوربية التي اجتمعت في ثلاثة كيانات تحقق لها مصالحها الإستراتيجية وهي السوق الأوربية المشتركة كنظام إقتصادي متكامل والإتحاد الأوربي ككيان سياسي مستقل وحلف النيتو كمنظومة عسكرية تعمل على سلامة وأمن دول الحلف .

وهذا الحشد الفكري والعاطفي هو مسئولية مشتركة بين مفكري الأمة ودعاتها ومؤسساتها الإعلامية وإنما مسؤليتنا الشخصية تكمن في أن نعمل كحشوة دافعة للفكرة حتى تأخذ مكانها في أذهان المسلمين كما فعلنا في أعقاب غزوتي نيويورك وواشنطن فقد كان من مكر الله بالقوم أنهم أغلقوا في وجه مناصري ومحبي الجهاد كل الطرق والسبل المؤدية إلى جبهات القتال فأصبح الوصول إلى أراضي الجهاد حلم أو أشبه بالمستحيل إلا لمن يسر الله له ذلك ولذا إتجه معظم الأنصار إلى مابات يعرف بالجهاد الألكتروني كبديل يعذرهم أمام الله وبذلوا فيه الوسع وتفننوا في

أساليب الدعوة والتحريض ونجحوا في إيصال صوت المجاهدين وفكرة الجهاد إلى العالم كله ولا أدل على عظم هذا النجاح من اعتراف وزير الدفاع الأمريكي رونالد رامسفيلد من أن أمريكا قد خسرت حرب الإنترنت أمام المجاهدين ! ولكني ومع أهمية هذا الدور أتمسك بقاعدة نفسية مفادها أن النموذج الناجح هو خير دعاية للفكرة التي تقف من ورائه ! أي أننا كي نكسب تأييد واهتمام الشارع الإسلامي لفكرة إعادة الخلافة يجب أن نقدم مثال مصغر ونموذج مثالي لما قد تكون عليه الحياة في المجتمع المسلم عندما يطبق الشريعة في واقع الحياة وعندما ينطلق من المبادئ الإسلامية التي أتى بها الدين الحنيف ، أمثلة في نصرة قضايا المسلمين و نموذج في حسن إدارة الموارد وفرض الأمن وبراعة التربية والإهتمام بالنشئ .. وغيرها من المحاسن التي إن اجتمعت في منطقة معينة من الأرض وعلى رأسها حكومة فستكون مثال غير مباشر يخاطب أفهام الناس ويعيد صياغة قناعاتهم بدون أي تأثير منا فقط من خلال وجود مثال ناجح لما قد تكون عليه دولة الخلافة وهنا تكون الفكرة قد خرجت من دائرة التنظير والكتب والدراسات إلى أرض الواقع المشاهد والمحسوس فالطبيعة البشرية لا تميل كثيرا للأفكار المجردة وقد لا تفهمها كذلك إلا إذا تجسدت على أرض الواقع ! فكثيرا من طاقات الأمة عندها قبول وانقياد للأفكار التي نحملها عن الجهاد ووجوب تحكيم الشريعة وغيرها ولكن المشكلة في عدم تصور ذلك في الوقت الحاضر فتكون حجته بأنه معك في أن الجهاد هو الحل ولكن كيف يمكن أن نجاهد وأعدائنا اليهود والأمريكان يملكون الطائرات الحديثة والصواريخ والأقمار الصناعية وغيرها من الأسلحة المتقدمة ونحن لا نملك أي منها أو ما يجاريها ؟ فهذه الحجة قد تكون عقبة كبيرة أمام انظمام هذه الطاقات إلينا وقد لا يقتنعون بحديثنا عن أساليب مدافعة العدو وتكتيكات تحييد أسلحته المتفوقة وأن مسألة قتاله ثم إنهاكه و التغلب عليه ممكنة مع الوقت ولكن الجدال يتوقف عندما نعطيه مثال حي ونموذج ناجح فنقول له قد كان الإتحاد السوفيتي يمتلك نفس تلك الأسلحة ثم نصرنا الله عليه ونبدأ بتقريب الصورة إليه بعد أن يكون قد استسلم للمثال الحي ..وهذا ما ينبغي علينا أن نعتمده في كسب تأييد وتعاطف الشارع الإسلامي لمشروع إعادة الخلافة فنقوم بعملية حشد فكري بالتوازي مع مثال حي يجسد الأفكار التي ندعوا إليها وهذا ما سيجعل المفكرين والدعاة والخطباء يقولون لجماهيرهم في أنحاء العالم الإسلام انظروا إلى الدولة الفلانية انظروا إلى بركة تطبيق الشريعة .. تمعنوا في نعمة الأمن والتكافل الإجتماعي وعزة المسلم واستعلائه بدينه .. لماذا لانكون مثلهم ؟ ماالذي ينقصنا ؟ مالذي يجبرنا على اتباع هذه القوانين الوضعية التي ما أنزل الله بها من سلطان ؟ ماالذي يجعلنا متفرقين حتى الآن ؟؟، فالحشد الفكري بجانب المثال الحي سيولد مثل هذه الأسئلة عند عامة الناس وهذا كفيل بإذن الله في هدم الحواجز التي وضعها الغرب بين المسلمين وبين المسلمين وشريعتهم ، ومما يؤكد لي صحة هذا التوجه أن المسلمون عندما استلموا الحكم في المدينة أنهوا الحرب الأهلية بين الأوس والخزرج وحافظوا على السلم وعندما أجلوا اليهود عن المدينة لم تتأثر الحركة التجارية بذلك مع أن اليهود هم الصاغة وأهل الذهب والمال وبالعموم شهدت المدينة حركة عمرانية وتجارية وعسكرية وثقافية غير مسبوقة في فترة العهد النبوي وهذا المثال الجيد في الإدارة والحكم والذي أرسى دعائمه النبي صلى الله عليه وسلم في المجالات السياسية والإقتصادية والعسكرية شجع العرب على الإنقياد والإنخراط في المشروع الإسلامي فليس كل

من دخل الدين دخله عن قناعة وإنما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي من نفسه ومن المجتمع الذي يسوسه أمثلة ناجحة في العدل والمساواة وحفظ الحقوق والمصالح وغيرها من مقاصد الشريعة فلما جاء نصر الله والفتح دخل الناس في حينها في دين الله أفواجا بعدما رأوه من عزة هذا الدين ونظامه الفريد وهذا ما ينبغي علينا أن نقدمه للشعوب الإسلامية حتى لا يقول أحدهم تريدون أن تحولوا بلادنا إلى صومال آخر !

ويجب الإشارة هنا إلى أن الأوضاع المرتقبة في المرحلة القادمة لن تتطلب منا كدولة وحكومة أن نوفر نفس الخدمات المتعارف عليها حاليا لأن أجواء الحروب والفوضى المصاحبة لها تلغي جل الكماليات المعيشية وتركز اهتمام الناس على الإحتياجات و الخدمات الأساسية مثل الغذاء والماء والأمن ومن بعده تأتي الخدمات الطبية والصرف الصحي والوقود وما هو في مثل أهميتها ، وهذه الخدمات الأساسية لاتحتاج لتعقيدات النظم الحديثة في الدول الغنية لإدارتها ولذلك نجد أن التجارب الجهادية الناجحة في الإدارة تركزت في بلدان فقيرة مثل أفغانستان والشيشان والصومال لأن شعوب هذه الدول لن تطالب بأكثر من الخدمات الأساسية وهو ما نجحت في توفيره تلك الحكومات المعينة من قبل المجاهدين بعكس لو ما كان الأمر في دبي أو الرياض لأن السكان في مثل هذه المدن لن يرضوا بأقل من المعيشة المترفة التي اعتادوا عليها ولكني أعتقد أن مرحلة الفوضى العارمة المرتقبة في المنطقة العربية ستعيد صياغة الظروف المعيشية بشكل يعود بها للتركيز على الحاجات الأساسية كما حدث في فترة الحصار على العراق والحصار على غزة فكثيرا من عادات العراقيين والغزاويين قد تغيرت في طريقة المعيشة والإدخار ونوعية الطعام وظهرت إجتهادات طيبة في الإعتماد على التصنيع المحلي لبعض الأجهزة والأدوات التي يتعذر جلبها من الخارج بسبب الحصار وظهور إهتمام بالطب الشعبي كبديل للطب الحديث أي أن ظروف الحصار والحرب أعادت صياغة طريقة الحياة بشكل مغاير لما كانت عليه وهدا ما يمكن أن يحدث بشكل أكبر إذا ما اقترنت الحرب بالفوضى !

المذكرة الإستراتيجية [٣]

وبعد أن حددنا المناخ الذي يمكن أن يسود في المرحلة المقبلة وبعد أن وضعنا مقترح إعادة الخلافة كمشروع إستراتيجي قابل للتنفيذ وفق معطيات ومتطلبات المرحلة القادمة وبعد أن أدركنا أهمية الحشد الفكري والعاطفي بجانب الأنموذج المثالي الذي يحاكي دولة الخلافة ويكون بمثابة نواة لها بقي أن نضع خريطة العالم العربي على الطاولة ثم نبحث عن أفضل المواقع التي تصلح كقاعدة لإنطلاق هذا المشروع وفق الشروط والمتطلبات اللازمة لذلك والتي سيكون من أهمها :

أولا : ألا يكون الموقع في منطقة ميتة حيويا و سياسيا كبعض الأقاليم في السودان والصومال وموريتانيا وصعيد مصر وغيرها من المناطق التي لا تحظى بعوامل تجعل منها محط اهتمام للشارع الإسلامي فلو أخذنا على سبيل المثال الحرب التي خاضتها أمريكا في أفغانستان والعراق فمع أنها بنفس الأدوات والعنف إلا أن الحرب في العراق قد استطاعت تحريك الشارع الإسلامي وحشده خلف المجاهدين بفعل حيوية المنطقة و عظم دورها في التاريخ الإسلامي وسهولة وصول الأنصار والدعم إليها ووجود وفرة في وسائل الإعلام لتغطية شؤون الحرب أولا بأول فلا تكاد تنفجر سيارة ملغومة حتى يخرج العشرات من شهود العيان والمحللين والمراسلين وغيرهم ليعلقوا على الحادث وهذا ما أعطى يوميات الحرب في العراق زخم إضافي لأن الحرب وقعت في منطقة لا يمكن إخفاء شيء فيها بعكس أفغانستان التي كانت تباد فيها قرى بأكملها دون أن يذكر شيء عن ذلك في وسائل الإعلام لأن حركة الإعلام متركزة في المدن أما بقية المناطق فهي جافة إعلاميا ولذلك يجب أن نستثمر جهودنا في مجال جغرافي حيوي حتى نخرج بالنتائج المطلوبة لنجاح المرحلة الأولى .

ثانيا : أن يكون الموقع ضمن أو بالقرب من مناطق التأثير الديني ، فالتاريخ يشهد بأن الخلافة ارتبطت دائما بمن يسيطر على مكة لأنها قبلة المسلمين والرمز الذي يلتفون حوله ولذلك حرص الخلفاء عبر العصور الإسلامية على أن يخطب لهم على منبر الحرم في أول أيام الحكم كي يضيفوا الشرعية الدينية على انتقال الحكم إليهم أو تغلبهم عليه وهذه الأهمية تنسحب أيضا على المدينة النبوية والقدس فهذه المدن الثلاثة تضم المساجد التي يشد إليها الرحال وهي مناطق التأثير الديني في العالم الإسلامي ومن المهم لمشروع الخلافة أن يرتبط جغرافيا في مرحلة متقدمة مع واحدة من هذه المناطق كي يستمد شرعيته الدينية في أعين عامة المسلمين ولا أقصد بأن ذلك شرط صحة لعقد الخلافة وإنما الحديث هنا عن عرف تاريخي ارتبط باسم الخلافة ، وقد بدأت الخلافة في المدينة ثم انتقلت في عهد عبدالله بن الزبير إلى مكة وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها ستنزل في بيت المقدس .

ثالثا : أن يضم الموقع الجغرافي تضاريس تساعد على العمل العسكري الدفاعي كالموانع الطبيعية مثل الجبال والغابات والمستنقعات والأحراش وغيرها من الموانع التي تعيق حركة الجيوش النظامية أو تحيد بعض الأسلحة المتفوقة كالطيران والمدرعات .. ومع أني أعتقد أن المرحلة القادمة سيكون فيها متسع أكبر للعمليات في المناطق المفتوحة إلا أن من الضروري أن تكون هناك قاعدة محمية بفعل العوامل الطبيعية كي لا تتعرض القوات لإبادة جماعية إن تعرضت لحملات جوية واسعة أو عمليات تطويق ضخمة بقوات مدرعة والتاريخ العسكري المعاصر يشهد بأن من يجيد استخدام عامل الأرض يكون أوفر حظا بتحقيق النصر في المعركة وإن تفوق عليه الخصم بالقوة ! فعندما اجتاح الألمان روسيا في عملية " بارباروسا " تفنن الروس في استدراج الألمان في مئات الأميال من الأراضي الروسية الشاسعة واتبعوا في ذلك سياسة الأرض المحروقة حتى وصل الألمان إلى مشارف موسكو وقد أنهكهم الجهد والبرد القارس ثم قام الروس بالهجوم المعاكس الذي لم يتوقف إلا في قلب العاصمة الألمانية وقل نفس الكلام عن الحروب الثورية في فيتنام وكوبا وغيرها فكلها اعتمدت على غطاء الأرض في مصاولة العدو وإنهاكه ثم القضاء عليه ومن ينظر في سجل التجارب الجهادية يجد أنها تستمر في المناطق التي تضم موانع طبيعية كأفغانستان والشيشان والجزائر التي تتميز بالجبال والغابات ولا تستمر في المناطق المكشوفة كمصر وجزيرة العرب ولا يشذ عن ذلك إلا من يجيد استخدام الكثافة العمرانية والبشرية كغطاء للتحرك والتواجد العسكري كما هو الحال في العراق ولذلك يجب أن نراعي عامل الأرض في تحركاتنا في المرحلة الأولى لأنها هي من ستقع فيها العمليات العسكرية الأشد ضراوة .

رابعا : الأمن الغذائي أي أن يضم الموقع مناطق زراعية وأنهار وبحيرات طبيعية تشكل له قاعدة للإكتفاء الذاتي في الماء والغذاء وأهمية ذلك تكمن في أن المناطق ذات الإكتفاء الذاتي في الماء والغذاء هي الأكثر قدرة على الصمود في وجه أي حصار أو عقوبات إقتصادية من أي نوع ، فالحصار الذي أحكمه الغرب على العراق في الفترة ما بين ١٩٩١ /٢٠٠٣ لم يؤدي إلى إستسلام صدام حسين طوال تلك الفترة لأن العراق يتمتع بنهرين يجريان على أرضه وأراضي زراعية شاسعة كافية لإطعام العراقيين بعكس لو كان ذلك الحصار على قطر أو الكويت أو غيرها من البلدان التي تعيش على الإحتياطي الغذائي المستورد من الخارج وعلى مياه البحر المحلاة فكلا الأمرين يتوقف بالحصار أو التدمير الناتج عن الحرب ولذلك يجب أن يكون عامل الأمن الغذائي محط اهتمام وبحث عند تحديد الموقع المناسب لبدء المرحلة الأولى من مشروع الخلافة .

خامسا : الطبيعة السكانية المساعدة أي أن تتضمن الخصائص البشرية للمنطقة نسب مقبولة من ناحية التدين والشجاعة والصبر على المشاق و ضلف العيش وقابلية التحرك والإنفتاح .. فغالبا ما يرجع وجود تفاعل مع الحدث من عدمه إلى الخصائص البشرية للسكان وقد اهتمت الدول الإستعمارية بدراسة الخصائص البشرية لكل شعب في مرحلة الإستكشاف وقبل الإحتلال المباشر حتى تتعرف على مفاتيح التعامل مع سكان المنطقة

والمخاطر التي يمكن أن تنتج عن التواجد بينهم والأهم من ذلك كيفية إخضاع تلك الشعوب ومن هذه الدراسات ما جاء في الموسوعة البريطانية عن خصائص الجنس العربي في شبه الجزيرة العربية فقد جاء أنهم (من حيث التكوين الطبيعي من أقوى وأنبل العروق البشرية في العالم، فهم جسديا لا يرضخون إلا للقلة من الأجناس البشرية هذا إذا رضخوا لأي منها، فأما ذهنيا فإنهم متفوقون على معظم أجناس البشر ولا يحد مسيرة تقدمهم سوى النقص الملحوظ في القدرة على التنظيم وعجزهم عن القيام بعمل مشترك) إنتهى. وقد عانت الدول الإستعمارية من شدة مقاومة بعض الشعوب فالروس عانوا من شجاعة شعوب القوقاز والطليان عانوا من أنفة الشعب الليبي من الخضوع للأجنبي و الشيوعيين السوفيت عانوا من حب الأفغان للدين الإسلامي .. وعلى العكس من ذلك تمتعت المخططات الإستعمارية بأريحية في التنفيذ في ظل بعض الشعوب التي لم تساعدها خصائصها البشرية في مدافعة الظلم والإستبداد والإستعباد كمعظم شعوب القارة الهندية فمن المهم إذن أن تحظى منطقة المشروع بخصائص بشرية تقبل الأفكار الإسلامية وتستطيع العمل من أجلها بشجاعة وصبر .

* وبالرجع إلى الخارطة العربية نجد أن هذه الشروط تتوافر أكثر ما تكون في منطقتين من العالم العربي وهما [اليمن والشام] فكلا المنطقتين يقعان ضمن المجال الحيوي لقلب العالم الإسلامي ونستطيع من خلالهما تحريك عموم المسلمين وتضمان تضاريس لا بأس بها من الموانع الطبيعية وبهما وفرة في الماء والغذاء تجعلهما في دائرة حصينة من الأمن الغذائي واليمن تقع بالقرب من مناطق التأثير الديني فهي إقليميا متصلة بالحجاز حيث مكة والمدينة أما القدس فهي ضمن منطقة الشام التي تضم سوريا والأردن ولبنان وفلسطين بالإضافة إلى سيناء ، أما الخصائص البشرية لسكان المنطقتين فيكفي أن أهل الشام واليمن من أكثر الشعوب مشاركة في القضايا الجهادية وإن كان الجهاد الأفغاني سواده الأعظم من شباب اليمن فإن الجهاد في بلاد الرافدين لم يقم إلا على أكتاف أهل الشام وفوق هذا وذاك فهاتين المنطقتين إختصهما النبي صلى الله عليه وسلم بالمدح والبشارة من دون بلاد المسلمين فقد جاء في فضائل الشام واليمن العديد من الأحاديث منها ما جاء عن عبدالله بن حوالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ستجدون أجنادا جندا بالشام وجندا بالعراق وجندا باليمن ، قال عبدالله فقمت فقلت : خر لي يا رسول الله ، فقال : عليكم بالشام فمن أبى فليلحق بيمنه وليستق من غدره فإن الله عز وجل تكفل لي بالشام وأهله ، قال ربيعة : فسمعت أبا إدريس يحدث بهذا الحديث ويقول : ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه . وجاء أيضا عند البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا . وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله استقبل بي الشام وولي ظهري اليمن وقال لي : يا محمد إني جعلت لك ما تجاهك غنيمة ورزقا وما خلف ظهرك مددا . صححه الألباني في صحيح الجامع .

والذي يهمنا في الخصائص البشرية أن العنصر الشامي واليمني من أشد العناصر العسكرية انضباطا في الحروب وأليقها به ولذلك عرف عبر التاريخ الإسلامي أن الجند جند الشام وأن المدد هو مدد اليمن ! أما بقية مناطق العالم العربي والإسلامي فهي تضم شيئا من العوامل السابقة بنسب متفاوتة ولكن منطقتي الشام واليمن هما أكثر من تنطبق عليه تلك الشروط اللازمة في اختيار منطقة العمل التي ستكون بمثابة القاعدة التي سننطلق منها لتنفيذ مشروع إعادة الخلافة الإسلامية وقد يقول قائل أنه وفي ظل الأوضاع المرتقبة من الفوضى العارمة قد يكون من السهل علينا إن عمت الفوضى والحروب الطائفية والقبلية جزيرة العرب أن نذهب مباشرة إلى مكة ونستولي على الحكم ثم ننصب خليفة دون أي إستراتيجيات أو مراحل أو تعب .. وهذا الكلام قد يكون صحيحا من الناحية العملية ولكنه لا يراعي جوانب التأثير في الشارع الإسلامي والعربي ولن نخرج منه بكبير فائدة لأن هذه الطريقة ستفهم على أنها محاولة لخروج المهدي أو ما شابه ! وسيكون من السهل على الإعلام المعادي أن يغير أو يشوه حقيقة الأمر وعندها ستحدث عملية حشد مضاد للشارع الإسلامي ضدنا وستضخ طاقات الشعوب أو بعضها لودأ ومحاصرة ورفض مشروع الخلافة وهذا مالا نريده وهذا أيضا ما بينا الإستراتيجية العامة لتجاوزه ، فالقصد أن يقدم مشرو ع الخلافة بصورة واقعية تستثمر وتتحد مع تعاطف وتأييد الشارع الإسلامي ليتكامل المشروع ويتطور وينمو وينتشر بقوة الفكرة المدعومة بقوة السلاح ، وحتى يأخذ ذلك واقعيته في أعين المسلمين يجب أن تكون هناك مرحلة أولى من التمكين وسلسلة من الإنتصارات وفترة من الحكم الر شيد ننطلق من خلالها إلى مكة أو المدينة أو القدس لنعلن من فوق أحد تلك الأماكن عن المشروع الإسلامي الوحيد الذي يمكن أن يوحد المسلمين!

ومن وجهة نظري أن صيغة التحرك السابقة هي الأقرب للواقع السياسي والعسكري للعالم الإسلامي ومن المضحك المبكي أني وأنا أكتب في سطور هذه المذكرة جاءت الأخبار بأن الثوار في ليبيا يعانون من تصلب وشدة قتال بعض القبائل الموالية للقذافي والتي اتضح بعد أسر مجموعات منهم أنهم يعتقدون وقيل لهم بأنهم يقاتلون حلف النيتو !! وهذا في ظل وجود إعلام عالمي ومحلي يخدم الثوار فكيف إن مورس ضدنا نحن التشويه الإعلامي ونحن لا نملك خدمات إعلامية بنفس المستوى ؟ ومن أجل تفادي مثل تلك الأخطار يجب أن تكون خطواتنا مدروسة وواقعية بدون أي قفزات في غير وقتها حتى يأخذ الأمر حقه من الإعداد والتمهيد اللازم لقبول الشارع الإسلامي لفكرة إعادة الخلافة الإسلامية مستغلين في ذلك مناخ الفوضى وحالة الشفافية الإعلامية وحرية الخطاب الديني التي ما زالت في ازدياد منذ اندلا ع الثورات العربية .

استراتيجية التحرك في نظرية الذراعين

أقول وبالله التوفيق أن الإستراتيجية العامة للتحرك تعتمد على حشد وتركيز الطاقات الجهادية في منطقتي المشروع الشام واليمن مع تحويل بقية الجبهات إلى مراكز دعم وإمداد بشري وفني لمنطقتي المشروع وبنفس الوقت تقوم هذه

الجبهات بتثبيت أو إشغال العدو في مجالها الجبهوي أو تهديد ممراته الحيوية التي يستفيد منها في العمل العسكري ، وقد جعلت العمل في المشروع في منطقتين بدلا من واحدة كي تتضاعف فرص النجاح من جهة ولكي تعمل الجبهتين والمنطقتين كذراعين تغطي كل واحدة منهما الأخرى وتمنع من تركيز أي مجهود عسكري يستهدف أي جبهة لوحدها وهذا وفقا لمسرح العمليات الممتد من الشام إلى اليمن ،فيمكن القول إذا أن نجاح منطقة الشام يعتمد على الضغط الذي تحققه منطقة اليمن ضد قوات العدو والعكس صحيح وشبكة الإشغال والتثبيت والتغطية هذه تدخل فيها بقية الجبهات بشكل جزئي بجانب مهماتها الأخرى في الدعم الفني والبشري والمعلوماتي وقد اقترحت طريقة العمل بالذراعين في المرحلة الأولى لأني أعتقد أن الأعداء على اختلاف ألوانهم سوف يلجأون إلى تشكيل تحالف عسكري مهمته القضاء على التواجد الجهادي في الشام والذي يهدد أمن ووجود إسرائيل أو التواجد الجهادي في اليمن والذي يهدد منابع النفط والممرات البحرية المهمة ومن الأفضل لنا حينها أن نقاتل على جبهتين مدعومة بسلسلة جبهات جزئية في العراق وجزيرة العرب ومصر وليبيا والصومال والمغرب الإسلامي وغيرها لأن تشتيت جهود أي تحالف عسكري يحتاج مواقع تتبادل الضغط والتغطية فيما بينها وهذا أهيأ ما يكون في الشام واليمن لأن كل منهما يقع في محيط بشري يستطيع الإفادة منه فاليمن سوف يستفيد من الطاقات الجهادية الموجودة في منطقة الخليج العربي والصومال والسودان للترابط البري والبحري فيما بينها والشام سوف يستفيد من أذرع الإمداد والتموين الآتية من العراق وتركيا ومصر وشمال جزيرة العرب .. فهذه ديناميكية لا ينقصها إلا الفوضى العارمة كي تبدأ بالعمل !

ولكي أقر ب الصورة أكثر أقول أننا في حربنا ضد الحملة الصهيوصليبية قد فتحنا العديد من الجبهات في باكستان وأفغانستان ووزيرستان والعراق واليمن والصومال والمغرب الإسلامي ونشرنا أذرع عسكرية حرة في منطقة الشام وأوربا وبدأنا نجني أولى ثمرات الحرب والتي مازالت مستمرة منذ عشر سنين بالضعف الإقتصادي المنذر بالإنهيار الكبير للنظام المالي الأمريكي والإقتصاديات التابعة له وذلك جراء حرب الإستنزاف التي اختارتها القيادة كنمط للقتال منذ التوجيه الإستراتيجي الأهم للشيخ أسامة بن لادن رحمه الله عندما دعى المجاهدين إلى ضرب مفاصل الإقتصاد الأمريكي وهناك ثمرات لاتقل أهمية عن ذلك فعملية إستدراج الأمريكان إلى الحرب العلنية مع المجاهدين قد كشفت الوجه الصليبي والإستعماري المختبئ خلف قناع قيم الحريات والمساواة وغيرها مما خدع به العالم الإسلامي وباتت أمريكا ومنذ نشأتها في أسوأ أحوالها السياسية والإقتصادية والعسكرية وما أريد أن أقوله هنا أن مرحلة المصاولة السابقة أوشكت على النهاية وبمجرد الإعلان المفاجئ عن السحب الفوري للقوات الأمريكية من أفغانستان سنجد أنفسنا أمام وضع جديد يتطلب مجموعة تكتيكات جديدة للإستفادة من نتائج الحرب ولا يعني ذلك أن نعود إلى ما كنا فيه من ملاذات آمنة في أفغانستان وغيرها لأنها تقع على الهامش وخارج مناطق الحيوية والتأثير كما أشرنا في السابق فالإستثمار الجيد لمرحلة المصاولة يكون كما يكون في أي حرب تبدأ من مجموعة جبهات تستنزف العدو وتنهكه حتى يصل إلى نقطة [الإنكسار] فنقوم عندها باختيار الجبهة المناسبة لنا لنناور

بقية القوات أو بالإحتياطي العام لإحراز النصر من خلال تلك النقطة وإن كان نابليون وغيره يطبقون ذلك على مستوى المعارك فيجب أن نطور أفكارنا حتى نطبقة على مستوى الإستراتيجية العامة وأنا أدرك أن هذه الإستراتيجية تتطلب حشد أقصى ما يمكن حشده من الطاقات البشرية والفنية في منطقتي العمل وهذا يتطلب إفراغ بعض الجبهات من الكثير من الكوادر العاملة بل ويتطلب تغيير نمط واستراتيجية العمل بعد أن تصبح هذه الجبهات جبهات جزئية وهذه قد تكون صعبة على بعض النفوس التي تعلقت بمنجزات العمل على أراضيها وبما وضعت عليه تطلعاتها وبما تعاهدت عليه بالدم والنار ولكنها الحرب ولا مجال للعاطفة في تحديد سياسة العمل وإنما الحزم كل الحزم والرأي كل الرأي في الحرص على ما ينفعنا كأمة وليس كتنظيم أو جماعة أو حتى تيار جهادي ، ومن أجل أهمية هذه النقطة بالذات وضع المسلمون الأوائل قاعدة ذهبية ومبدأ من مبادئ الفكر العسكري تناقلته الكتب والدراسات الغربية والشرقية بعد ذلك وهو مبدأ [عدم تعزيز الفشل] وسجل عن المسلمين أولى التجارب التي استخلص منها هذا المبدأ عندما حاصر جيش المسلمين حصن الطائف وظلوا محاصرين له أربعين يوما وعانوا في ذلك إصابات بليغة في صفوفهم أملا بأن يفتحوه وعندما درس النبي صلى الله عليه وسلم الوضع واستشار في ذلك رأى أنه لا فائدة من الإستمرار بالحصار في ظل هذه الخسائر ولكن بعض الصحابة أصر على البقاء لأهمية الحصن في نظرهم وتعلق نفوسهم بفتحه ثم لما كثرت فيهم الجراح عادوا للنبي صلى الله عليه وسلم مقتنعين بعدم جدوى الإستمرار في تعزيز الفشل في فتح الحصن فنادى المنادي بالرحيل ثم لم يلبث الحصن أن فتح بطريقة أخرى .. فنأخذ من هذا المبدأ الذي أرساه المسلمون في حروبهم وتعلمت منه المدارس العسكرية في العالم ألا نبدد الوقت والجهد والإمكانيات في إتجاه مقفل ! لأن ذلك لا يتسبب في إحداث حالة من الجمود وحسب بل يتعدى ليتحول إلى عملية إستنزاف حقيقي لقدراتنا التي من الممكن توظيفها بشكل أفضل في مكان آخر .. وقد أحببت أن أستبق ما أريده بهذه الكلمات لأني أظن أنه قد آن الأوان لإنهار الدور العربي في بلاد الأفغان لأن السبب الذي ذهبوا من أجله منذ أكثر من ٢٠ سنة في التحريض والتدريب وقيادة الصراع من هناك بدأت ثماره بالنضوج ولم يبقى عليهم إلا أن يجنوا قطاف ذلك في المكان المناسب وأظن أيضا أنه قد آن الأوان لعملية نقل واسعة للكوادر العاملة في بلاد الرافدين إلى الداخل الشامي لتتولى وتشارك في مسؤولية قيادة وتدريب وتوجيه دفة الجهاد في بلاد الشام ، وأعلم أن هذه النقطة قد تكون شديدة على النفس لتعلق البعض بمشروع [دولة العراق الإسلامية] التي وضع لبناتها من دماء وجماجم الشهداء ولكني أعود وأقول إنها الحرب يا سادة ! فكم من مدن تركت لمصيرها وانسحبت منها الحاميات والجيوش حتى تشكل خط دفاعي أقوى وكم من عمليات إغارة اشترط فيها عدم إسعاف الجرحى وتركهم في مكانهم لأنه لا يوجد وقت كافي لذلك وكثير من مثل هذه الإجراءات تتطلبه الحرب و لا تستسيغه النفوس ! ومع ذلك فأنا لا أدعو إلى إفراغ الساحة وإنما تحويل الجهد الرئيسي فقط ، فالحرب في العراق قد ولدت خبرات واسعة وثمينة في تكتيكات قتال المدن والمناطق الزراعية وأساليب الدفاع الجوي وتقنية العبوات المتفجرة واللاصقة والكواتم وأصبح هناك تمرس في الأمور الإدارية والفنية المتعلقة بالتنظيم الداخلي والتعامل مع الجوار السكاني بشقيه الحضري والعشائري والجوار المعادي والمحايد وغيرها من الخبرات التي تجعل من

مسؤولية الجهاد على أرض الشام أمانة في أعناق القيادة العراقية كما كانت مسؤولية الجهاد في بلاد الرافدين أمانة في أعناق أهل الشام من أمثال أبومصعب الزرقاوي وأبو محمد اللبناني وأبو أنس الشامي وغيرهم كثير ومع ذلك أيضا فبودي أن ننظر إلى الأمور من الجانب المشرق فقد كنت أقول منذ مدة طويلة بأن نجاح مشروع الصحوات لا يعني الكثير لأننا يجب أن ننظر إلى العراق كجبهة من ضمن عدة جبهات قاتلنا من خلالها الحلف الصهيوصليبي ولو أردنا أن نقيم عمل ونتائج كل جبهة لنرى أي منها كان له الفضل في صمودنا واقترابنا من النصر لقلنا بدون أي تردد أن الحملة الصهيوصليبية لم يكسر ظهرها إلا في العراق ! فالعراق كانت محطة إعادة الأمل للمشروع الجهادي بعد سقوط الإمارة الإسلامية في أفغانستان ٢٠٠١ ولذلك كنت أقول لمن حولي لو أن المجاهدين في بلاد الرافدين تركوا السلاح وعادوا لبيوتهم لقلنا لهم جزاكم الله خيرا عن الإسلام وأهله فقد كفيتم ووفيتم .. ولا أقول ذلك تطييبا للنفوس ولكنها الحقائق الموجودة في سجلات الحرب .

وفي اعتقادي أن وجود مثل هذه الإستراتيجية ووضوح الأدوار فيها سيعمل على القضاء على نسبة عالية من العشوائية التي شابت مرحلة المصاولة السابقة ويجب أن أشير هنا أن مرحلة المصاولة وحروب العصابات التي خضناها ضد التحالف الأمريكي كانت تستوعب بعض العشوائية لطبيعة حروب العصابات التي تتطلب وتهضم مثل تلك الأعمال أما مرحلة الفوضى العارمة فستتطلب تنظيما أكثر متانة وتشكيلات شبه نظامية للعمل العسكري أي أن المعادلة هنا معكوسة ففي السابق كنا مؤثرين في مناخ النظام العالمي بسبب تمردنا على قوانينه السياسية والعسكرية أما في مرحلة الفوضى القادمة فيجب أن نكون منظمين حتى نكون مؤثرين في جو المناخ الفوضوي القادم ! فالعشوائية التي سادت بعض الأعمال في المرحلة السابقة لن يكون لها محل من الإعراب في المرحلة القادمة ولذلك لن يكون هناك مجال للإجتهادات الخاصة في ظل وجود مشروع إستراتيجي تجتمع فيه القوى الجهادية في نسق و احد وبأدوار معينة لتحقيق الهدف النهائي الذي قطع التيار الجهادي ما قطع من أجل بلوغه ولأهمية هذه النقلة ينبغي أن تظهر القيادة حزم ووضوح أكبر في تحديد معالم المشروع وحدود المطلوب من كل طرف والخطوط الحمراء التي لا يجب تجاوزها أو جر التيار إليها حتى نتجنب أي مشاريع طائشة أو جزئية تبدد المجهود العام أو تؤثر عليه عكسيا أي أن التحدي القادم للقيادة سينكب على إظهار سيطرة أكبر على مسرح العمليات الرئيسي والثانوي ، والأمثلة على خطورة العشوائية على تحقيق النقلة المطلوبة في طريقة قيادة الصراع في هذه المرحلة كثيرة ويحضرني منها ما حدث مع الجماعات اليهودية بعد مرحلة إعلان الدولة فقد كان الجيش اليهودي يتكون من عدة تنظيمات عسكرية وشبه عسكرية مثل الهاجانا والأرغون وشتيرن وقد اعتادت هذه التنظيمات على أعمال الإرهاب والترويع ضد الفلسطينيين ما قبل وبعد إعلان الدولة وضد البريطانيين في مرحلة متأخرة قبيل نهاية الإنتداب البريطاني لتعجيل رحيلهم من البلد ثم لما أراد ساسة اليهود المضي في مشاريعهم الإستيطانية بخطوات ثابتة ومدروسة تراعي الظروف الإقليمية والدولية التي تحيط بهم تمرد على ذلك بعض العصابات المنظمة للجيش مثل شتيرن والأرغون التي كانت بزعامة "بيجن " فأصبحت القيادة اليهودية وعلى

رأسها "بن غوريون" وهو أول رئيس حكومة للدولة أصبح أمام تحدي كبير في إظهار سيطرته على أجهزة الدولة وقد كان هذا الموقف هو أول موقف سيحدد ما إن كان اليهود يملكون التصرف كدولة أم أنهم لا يستطيعون التخلص من العشوائية واللامركزية التي كانت سائدة في كثير من مراحل ما قبل الدولة ولكن بن غوريون أدرك خطورة ذلك على كل ما بناه اليهود وأثبت أنه رجل دولة وذهب إلى حد إعلان الحرب على هذه التنظيمات إن لم تلتزم بسياسة الدولة ! وبما أننا في مرحلة تسبق دولة الخلافة وفي مرحلة التمكين لذلك المشروع فلا يمكن أن نذهب إلى ما ذهب بن غوريون إليه ولكن يكفينا أن نتبع بعض أساليب فن الإدارة لنستفيد من مساحات التحرك التي سنشهدها في المرحلة القادمة لنفرض السيطرة الكاملة على إدارة المشروع ومن أجل ذلك أقترح أن نعمل على دمج الجماعات الجهادية التي لم تبايع تنظيم القاعدة حتى الآن أو إرتأت عدم إعلان ذلك أو فضلت الإستمرار باسم مغاير لتتوخى التشويه الذي مورس ضد تنظيم القاعدة عند الجماهير المحلية وتجنبا للضغط الدولي الذي قد يجلبه ذلك الإسم ثم نقوم بعملية صهر لكل القوى المجتمعة سواء كانت جهادية أو قبلية أو دعوية متحالفة معنا تحت كيان جديد وبإسم شمولي كالإتحاد الإسلامي أو أنصار الشريعة أو غيره حتى نرتقي من كوننا جماعات جهادية متفرقة هنا وهناك إلى مرتبة [حركة إسلامية كبرى] لها مكاتب وفروع في معظم البلدان الإسلامية وبمجلس شورى وأعيان وجيش شبه نظامي على أن يتخذ هذا الكيان من منطقتي المشروع في الشام أو اليمن قاعدة ومقرا له يمارس منه دوره الجديد في القيادة والتوجيه وهذا من شأنه أن يضيف إلى رصيدنا نقطتين لا تقل الواحدة منها أهمية عن الأخرى فالأولى أننا شكلنا الهوية الإسلامية التي يمكن أن نعبر من خلالها عن آمال وتطلعات الشارع الإسلامي ورغبته العميقة في إعادة الهوية الإسلامية الجامعة للأمة والمتمثلة بدولة الخلافة الإسلامية والثانية أن لنا عنوانا محددا لمن أراد أن يضع يده بأيدينا أو أن ينسق جهوده معنا أو يتحالف بموجب هذه الفكرة ، وهاتين النقطتين أي [الهوية والعنوان] هي التي ستفتح لنا قنوات التعامل مع القوى الإقليمية والدولية على أساس الند للند وهذا من شأنه أن يعيد صياغة التعاملات التجارية والعسكرية على أساس المصالح المشتركة وليس العمالة أو الإقتصاد التابع كما كانت في السابق وعندها سنرى ألوانا من العروض تنهال علينا من الشرق والغرب وسنشهد محاولات عديدة ممن يريد أن يأمن جانبنا أو أن يكسب تأييدنا في ظل توازن القوى المحلي والعالمي وهذه الصورة في هذه المرحلة لا يمكن أن يذهب ببهائها إلا العشوائية أو المشاريع الجزئية التي تحلق خارج السرب .

والحقيقة أن الحقبة السابقة شهدت بعض النجاحات لتنظيمات عسكرية وسياسية ودعوية إجتمعت تحت هوية مستقلة وعنوان محدد ومارست دور فعال لم يمنع من تطوره إلا منظومة الأنظمة الراعية والعميلة التي لا تسمح بنمو مثل تلك الكيانات المعاندة للنظام الدولي فقد اجتمعت بعض الفصائل الشيعية في لبنان تحت اسم حزب الله واتخذت من مبدأ المقاومة الإسلامية للإحتلال الإسرائيلي شهارا لها وهوية وأصبحت مع الوقت دولة داخل دولة ثم أصبحت هي الدولة الوحيدة في لبنان ! والجماعات الكردية كذلك استطاعت بعد سنين التناحر والقتال

فيما بينها أن تجتمع على هوية جامعة وعنوان محدد اسمه دولة كردستان ولولا المحيط المعقد والمعادي الذي يتواجد فيه الأكراد لكان لمشروعهم القومي شأنا آخر ونفس الأمر بالنسبة لحركة الترابي في السودان فقد شكلت لنفسها هوية سياسية ذات صبغة إسلامية واستطاعت ممارسة الحكم في السودان وجندت من أجل ذلك ٤ ملايين سوداني في الجيش الشعبي التابع لها ثم سرعان ما تآكلت قوة الحركة نتيجة الضغوط الخارجية والداخلية التي مورست على السودان ، وآخر هذه النجاحات الجزئية هو ما حدث في العراق عندما اجتمعت أكثر من ١٢ جماعة جهادية تمثل السواد الأعظم من التيار الجهادي في بلاد الرافدين في مجلس شوى للمجاهدين ثم دخلت في حلف مع بعض العشائر العراقية وسمي بحلف "المطيبين" ثم انصهرت هذه القوى جميعا في مشروع "دولة العراق الإسلامية" التي مارست لفترة قصيرة دور الحكومة التنفيذية في بعض المناطق والمدن ولولا عمل منظومة الأنظمة الراعية والعميلة الدؤوب وحساسية موقع العراق الجغرافي المحاذي للأردن والسعودية والقريب من إسرائيل لكان لهذا المشروع شأنا آخر أي أنه كان من الممكن أن يحصل على حالة من التمكين والإدارة كالتي حصلت لحركة شباب المجاهدين في الصومال أو حركة طالبان في أفغانستان ولكن وجود مثل هذا المشروع الخطير في قلب نظام سايس وبيكو جعل شياطين الإنس والجن من العرب والروم والعجم تستنفر لوأده مهما كان الثمن ولذلك شكلت الدول المحيطة بالعراق "مجلس دول الجوار" لمكافحة ومحاصرة المد الجهادي في العراق .

وبما أن الحديث قد جرنا إلى التحالفات التي قد تخدمنا في المرحلة القادمة فقد كنت أتسائل منذ اندلاع الثورات العربية إن كان المفيد لنا الإستمرار باسم [القاعدة] أم أن المرحلة القادمة سوف تتطلب إسما جديدا ؟ فجاء الجواب من تنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب عندما دخل في تحالفات قبلية فحول اسمه إلى [أنصار الشريعة] ليتأقلم ويستفيد من الأوضاع الجديدة فأي تمدد نريد أن نحققه يجب أن نترك من أجله الرداء الذي لا يسع غيرنا إرتدائه ! أضف إلى ذلك وإذا كنا لا نريد أن نقفز على الواقع فيجب أن نعترف أن هذا الإسم قد تلطخ بحملات تشويه غير مسبوقة عبر كل هذه السنين بجانب ما حققه من مكاسب وتأييد في الشارع الإسلامي وحتى لا نراهن على فرص نجاحنا في المرحلة القادمة بسبب وجود رواسب في أذهان البعض وحتى نقطع الطريق على من يريد إستثمار ذلك في صد الجماهير عنا يجب أن ندخل هذه المرحلة تحت اسم شمولي جديد وهذا ما دأبت عليه بعض القوى السياسية عندما كانت تصطدم بعقبات تحول دون استمرارها بنفس الإسم فمادام أن المشروع السياسي أو العسكري أو الدعوي واضح المعالم فلم التشبث بما يعيقه ؟ ولذلك نجد أن قرارات حل الأحزاب الإسلامية في تركيا لم يمنعها من تغيير الإسم والدخول إلى الحلبة مرة أخرى ووجود توافق بين بعض الأحزاب الإسرائيلية لم يمنعها من تشكيل تحالف جديد تحت اسم جديد كحزب " كاديما" ! حتى على مستوى المشاريع الدعوية فبعد أن نجحت حملات التشويه التي مورست ضد دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب في صد بعض المسلمين عن كتبه أصبحت هذه الكتب تطبع تحت اسم "محمد التميمي" حتى لا يحول شيء بين المسلمين وبين ما ينفعهم ، فإن كان الهم والمهم هو نصرة الدين فيجب أن تتجرد النفوس مما هو دون ذلك .

ثم خرج لي تساؤل آخر حول جدوى الدخول في تحالف إسلامي أو تشكيل حركة إسلامية ونحن نستطيع أن نركز جهودنا كتيار جهادي في المرحلة المقبلة مع تحالفات محلية لنعمل على إنشاء دولة تكون نواة لدولة الخلافة ! وقد احترت في أي الطريقتين هي أجدى لنا ثم بدى لي أنه يمكن لنا العمل بكلا الطريقتين على أن نقدم الأولى على الثانية أي أننا نحتاج لتشكيل التحالف الإسلامي كهوية عمل لنا ونستفيد من الزخم الإعلامي لذلك وما يصاحبه من حشد فكري وعاطفي سيوفره ويعمل عليه أعضاء ومفكري ودعاة هذا التحالف تمهيدا لفكرة الخلافة بنفس الوقت الذي يشكل فيه هذا التحالف شبكة من مراكز الدعم والإمداد البشري والفني والمالي عبر عشرات المكاتب والمراكز في البلدان الإسلامية والتي ستعمل كخلايا تنسيق واستخبارات في آن واحد ثم لما نصل إلى التمكين الكامل في إحدى منطقتي المشروع أو كليهما نستطيع أن نعلن عن الدولة التي ستكون في حينها نواة لدولة الخلافة فتتحول بقية المكاتب والفروع في الخارج لما يشبه سفارات وقنصليات للدولة الوليدة بمعنى أن التحالف الإسلامي المنشود والمطلوب في بداية مرحلة التمكين سيكون بمثابة حقل التجارب الخاص بنا والذي سيكسبنا الخبرات اللازمة في إدارة الدولة الوليدة بحيث لا يتم الإعلان عن الدولة إلا ونحن نحظى بكافة التخصصات والكوادر الفنية اللازمة لإدارة هياكل الدولة حسب مستلزمات تلك الفترة وبحسب طبيعة الحركة السياسية والإقتصادية والعسكرية الجديدة في المنطقة حينئذ والذي يفترض أننا قد أتقنا الحياة والتحرك في ظلها وهذا بالضبط ما اعتمده المخططون اليهود في مراحل إنشاء دولتهم على أرض فلسطين وأرجو أن يعذرني القارئ بكثرة إستشهادي بتجارب اليهود فهم قد مروا بحالة مشابهة لما نحن مقدمين عليه إلا أن قضيتنا أضخم وأكبر وبدون دعم خارجي كما كان المشروع الصهيوني .. وبالعودة عليه أقول أن اليهود بدأوا قبل كل شيء بمرحلة من التخطيط والنقاشات العامة وتنقيح الأفكار في مؤتمراتهم الأولى التي بدأت في مدينة بازل السويسرية عام ١٨٩٧ برئاسة ثيودر هيرتزل الذي خرج من أول مؤتمر له وقال : إن أردتم أن ألخص لكم أعمال المؤتمر فبوسعي أن أقول أن في بازل أسست الدولة اليهودية ! ثم شرعوا بمرحلة التنفيذ التي تشكت من أجلها العديد من اللجان والصناديق المالية المتخصصة في شراء الأراضي في فلسطين ومساعدة اليهود على تملكها كالبنك اليهودي الذي أسسه التاجراليهودي "روتشيلد" وشهدت هذه المرحلة تنسيق عمليات الهجرة والتوطين في فلسطين بطرق وأساليب مختلفة ثم أدرك اليهود أن إغراء السلطان عبدالحميد الثاني بالذهب وتسديد ديون الدولة وغيره لن يجدي في اقتطاع أي شبر من فلسطين لهم فحاولوا الضغط من خلال الإتحاد والترقي وجماعات الضغط اليهودية في سالونيك ولم يفلحوا أيضا ثم أدركوا أن رياح التغيير ستهب لا محالة على المنطقة بدخول الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا والنمسا في الحرب العالمية الأولى ورأوا في ذلك فرصة العمر والمناخ المناسب لإثبات وجودهم فأرسلوا أبنائهم للإلتحاق بقوات التحالف وأنشأوا اللواء اليهودي بعد أن فرض عليهم البريطانيون في البداية أن يعملوا في كتيبة بغال التحميل التي كانت تعمل في خدمة الجيوش البريطانية في شرق أوربا ! ثم تغللوا في هذه المرحلة في قلب المؤسسات الحاكمة في الدول الغربية وحققوا نجاحات واختراقات كبيرة خدمت أغراضهم المتمثلة في دعم الهجرة والحق اليهودي في فلسطين فأصبح عندهم في

ظل هذه الصورة شبكة من مكاتب الدعم والتنسيق المالي والفني حول أهم عواصم العالم الغربي واجتمعت كل هذه المكاتب والمراكز في داخل فلسطين وخارجها تحت اسم واحد هو " الوكالة اليهودية " والتي جاءت كهوية سياسية لليهود وكعنوان لمن أراد التحدث والتعاون معهم وعندما حصلوا على "وعد بلفور" الشهير بدأ اليهود في ممارسة العمل الإداري جنبا إلى جنب مع المسؤولين الإنجليز الذين كانوا يديرون حكومة الإنتداب في فلسطين بل إنهم تدخلوا لدى وزارة المستعمرات في الحكومة البريطانية لتعيين أحد الصهاينة الإنجليز كحاكم لفلسطين ومضت ٢٨ سنة منذ احتلال فلسطين من قبل الإنجليز ودخول الجنرال اللنبي القدس عام ١٩١٧ إلى موعد إنتهاء الإنتداب البريطاني في ١٩٤٥ وتسلم اليهود دولة بكافة مؤسساتها الأمنية والخدمية والإقتصادية مع معرفة كاملة بشؤون الإدارة وتسيير الأعمال من خلال كوادرهم وموظفيهم اليهود الذين استفادوا من الخبرات البريطانية في الإدارة والأمن ومن تجربتهم الفريدة في الوكالة اليهودية وعند هذه اللحظة أعلن بن غوريون قيام دولة إسرائيل ، والشاهد من قصة نشأة دولة إسرائيل أن اليهود اعتمدوا على الوكالة اليهودية كتحالف يهودي يضم نخبة من الصهاينة ويعمل كتمهيد لنواة دولة ينطلق من خلالها اليهود لتوسيع مناطق نفوذهم وهو ما فعلوه في الحروب ١٩٤٨و١٩٥٦و١٩٦٧و١٩٨٢ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها ، والحق أن اليهود تمتعوا بواقعية كبيرة في تنفيذ أحلامهم على أرض الواقع وفق الظروف المحيطة بأرض المشروع وطبقا للشروط اللازمة لذلك ومراعاة للمناخ السياسي الذي أحسنوا توظيفه والعمل من خلاله وهذا بالضبط ما يجب أن يتمتع به أصحاب الأحلام الكبيرة أو المستحيلة في نظر الناس !

المذكرة الإستراتيجية [٤]

أهم التوصيات التي يمكن أن تخدم المشروع

في أي مشروع مرحلي ضخم يتم تطبيق المراحل العملية بجانب تنفيذ الإجراءات الإحترازية قبل ومع مراحل العمل وهذه الإجراءات تأخذ شكل إجراءات الأمن والسلامة في مشاريع البناء ومعامل الصناعة ، وعند الحديث عن إجراءات الأمن والسلامة لمشروع إعادة الخلافة الإسلامية فإن هناك مجموعة من الإجراءات التي يجب مراعاتها على المدى القريب والمتوسط والبعيد وأستطيع تقسيمها إلى ثلاثة أنواع [التأمين الدعائي – التأمين الذاتي – التأمين الإستراتيجي] وهي كالآتي :

١ – التأمين الدعائي

أظهرت القيادة النبوية قدرات عالية في تأمين الدعوة في مراحها المختلفة سواء كانت في مرحلة الإستضعاف في مكة أو التمكين في المدينة وقد أخذ هذا التأمين ألوانا مختلفة إلا أن جانبا منه كان يصب في خانة الحفاظ على سمعة الدعوة من أي خدش أو تشويه أو ملابسات يمكن أن تنسج حولها ولذلك جاءت بعض الإجراءات والمناورات التي تساعد على حفظ وسلامة الفكرة الإسلامية في بداياتها الأولى كالكف عن القتال والأمر بالهجرتين وعقد بعض التحالفات وتحييد بعض الخصوم والحفاظ على المصداقية حتى في الوعود والإتفاقيات الشديدة على النفس مثل إتفاقية الحديبية أو عندما أخذ المشركون العهد على حذيفة وأبي حسيل بألا يلتحقا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد خروجهما من مكة فلما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم وأبلغاه بما كان بينهما وبين المشركين قال : انصرفا نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم . قال النووي ما معناه : حتى لا يقال أن محمدا ينقض العهد !

ومن أهم ما يمكن أن نراعيه في تأمين الدعوة إلى إعادة الخلافة الإسلامية هو عدم الدخول في أي صراعات مع أي طرف إسلامي خارج دائرتي المشروع والتمسك بمبدأ إظهار المثال الحسن للدولة النواة التي تمثل دولة الخلافة في مقابل هدم الأفكار الغير شرعية التي تتبناها بعض الأحزاب والتيارات الإسلامية كالعمل الإسلامي من خلال البرلمانات والدستور الشركي والتحالفات التي تبنى على حساب عقيدة الولاء والبراء .. فالدعوة إلى العقيدة والمنهج السليم واضحة سواء كانت في منطقة المشروع أو خارجها ولكن القصد في إتباع الأسلوب الأنجع في ذلك والأحفظ للدعوة من التشويه أو الإنزلاق إلى معارك داخلية مع الصف الإسلامي ولذلك أقول وبعبارة واضحة : اتركوا الإخوان ما تركوكم !

يجب أن تترك البلدان خار ج منطقتي المشروع من التدخل في الشأن الداخلي ودون المشاركة في تأييد أو معارضة الحكومات الإسلامية التي قد تستلم السلطة وذلك بقصد الحرص على عدم الإصطدام بها فقد تعلمنا من دروس غزة أن ممارسة العمل الجهادي في ظل مثل هذه الحكومات سيجعلنا في صدام شبه دائم معها وهذا يسبب إرباك للشارع الإسلامي وهو عين ما توخاه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله [لا تتحدث العرب أن محمدا يقتل أصحابه] بجانب أن مصلحة ترك الصدام مع هذه الحكومات ذات الصبغة الإسلامية راجحة على ما سواها لأن ظروف عمل الجبهات الجزئية في التنسيق والإمداد البشري تتطلب حالة من السلم وقسط من أمن الجانب من طرف تلك الحكومات بالإضافة إلى أن الصدام سيتسبب في حملات إعلامية مضادة علينا وعلى المشروع الوليد وهذا ما يجب تجنبه خاصة ممن يتصفون بالإسلاميين بجانب أن الصدام قد يعمل على تشويه المثال الذي نعمل على إعطائه للمشروع الإسلامي عن الدولة التي ستكون نواة لدولة الخلافة ، وقد سائني ما حدث في سيناء مؤخرا عندما خرج بعض الأخوة هداهم الله في يوم جمعة [الشريعة] والذي توافقت عليه الأحزاب والتجمعات الإسلامية والعلمانية لجعله يوما لتأكيد مطالب الثورة تحت شعار " جمعة الإرادة الشعبية " وأراد الإسلاميون منه خاصة إثبات قوة وجودهم في الشارع المصري والتمسك بتعديلات الدستور الخاصة بهوية مصر الإسلامية .. فخرج أولئك الأخوة وأطلقوا النار بطريقة عشوائية وهم حول أحد الخطباء ثم ما لبثوا أن اشتبكوا مع الجيش ثم تطور الأمر إلى اقتحام مراكز شرطة وقتل عدد من الضباط ممكن كانوا فيها .. فلما أرسلت إلى أحدهم مستفسرا عن سبب ذلك قال لي أنهم خرجوا للمطالبة بالشريعة على طريقتهم !! والحقيقة أني صدمت من هذا التصرف بهذه الطريقة التي شوهت وقوفنا إلى جانب رغبة الشعب المصري في تطبيق الشريعة وظهرنا بشكل يوحي بأننا تقصدنا لفت الإنتباه عن فعاليات ذلك اليوم أو إفساده كما روج البعض ! وهذه تحسب علينا شئنا أم أبينا فهؤلاء الشباب خرجوا بنية طيبة للمطالبة بتطبيق الشريعة في ظل دعوات نادت بذلك وهذا حسن ولكن الخطأ في طريقتهم الخاصة التي عبروا بها عن ذلك فليس هذا مكانا لإطلاق النار إنما هي فعاليات شعبية سلمية للتعبير عن رغبة الشعب ولتحقيق ضغطا متواصلا على المجلس العسكري حتى لا يلتف على الثورة وقد دعى الشيخ د.أيمن الظواهري حفظه الله الشعب المصري والجماعات الإسلامية خاصة إلى تفعيل المظاهرات والمطالبات في هذا الجانب ولم يذكر أحد ما أي شيء عن السلاح وإطلاق النار !

هذه الحوادث ومثيلاتها هي المخاطر العشوائية التي قد يستفيد منها الأعداء في تشويه وصد الجمهور عن التأييد الفكري والعاطفي لمشروع دولة الخلافة وأنا أدرك جيدا أن مرد ذلك لفقد التوجيه الجيد على أولئك الشباب وعدم وجود من يمارس دور قيادي غير عسكري نحوهم وهذا من رواسب ظروف مرحلة المصاولة التي منعتنا وحرمتنا من التواصل مع القاعدة الشبابية فكان الشاب الملتزم في أحسن أحواله وعند بداية توجهه إلى طريق الجهاد يأخذ التوجيه من إخوانه الأقدم والذين قد لا يملكون القدرة على توجيهه أو ممارسة أي دو ر فعال على مستوى التربية

الجهادية التي يكون ذلك الشاب وأمثاله في أمس الحاجة إليها ، ففي فترة الجبهات المفتوحة كنا نتعامل مع المشايخ أمثال عبدالله عزام وأسامة بن لادن وأنور شعبان وأبو عمر السيف – رحمهم الله – وغيرهم من المشايخ والقادة والقدوات المنتشرين في المعسكرات المفتوحة في أفغانستان والشيشان والبوسنة أما في مرحلة المصاولة الحالية فلم يتسنى لنا ذلك ومن هنا فقدت حلقة الوصل التربوي والتوجيهي مع القاعدة الشبابية ، وقد أشار الشيخ أبومصعب السوري فك الله أسره بعد شرحه لأبعاد هذه المرحلة إلى ضرورة العودة إلى حالة الجبهات المفتوحة لممارسة ذلك الدور مرة أخرى .. وبما أن ذلك سيكون متاحا بإذن الله في مناطق التمكين وخاصة منطقتي المشروع الشام واليمن فيجب إيجاد صيغة لممارسة دور التوجيه على الأقل مع القواعد الجماهيرية الشبابية في مناطق الجبهات الجزئية حتى تتم السيطرة على نشاطاتهم وتوجيهها التوجيه السليم ومن أجل ذلك أقترح أن يكون هناك عنوان جزئي يلتف عليه الأخوة والشباب في تلك المناطق كأحد العلماء المعروفين والقريبين من التيار الجهادي أو من خلال أي جهة تنبثق من التحالف الإسلامي الذي تم اقتراحه سابقا والذي ستكون مسألة توجيه هؤلاء الشباب واستثمار طاقاتهم أحد أهم التحديات التي تنتظره في البلدان خارج منطقتي المشروع .

٢ – التأمين الذاتي

كنت قد ذكرت في مقالي [استراتيجية التمكين لأنصار شريعة رب العالمين] بعض التحديات التي ستكون بانتظار المجاهدين في ولاية "أبين" بعد اتسعت الرقعة الجغرافية التي يسيطرون عليها وأصبحت بعمق ٣٠٠ كيلو وتضم مدن كزنجبار وجعار وغيرها وأجملتها بالآتي :

إقتباس :

١ – توفير الخدمات: النجاح في السيطرة على البلدان شيء والنجاح في إدارتها شيء آخر، ولذلك تستعين البلدان الإستعمارية بأفضل المستشارين في قطاعي التجارة والأعمال لتولي دفة إدارة البلدان بعد السيطرة عليها، ولذلك أتى الأمريكان ببريمر كحاكم مدني للعراق وذلك لتجربته الواسعة في إدارة الشركات العالمية الكبرى، وعندما نتحدث عن إدارة مناطق مثل جعار وزنجبار فإننا لا نقصد مدنا بحجم وطبيعة دبي أو الرياض لأنه في الأولى لا توجد خدمات عالية المستوى سوى الخدمات الأساسية كالكهرباء والماء والهاتف وهذه يمكن بتوفيق الله توفيرها بنفس الكفاءة إن أحسن تدبير الأمور، أما المدن المترفة كدبي والرياض فلن يرضى الأهالي بغير ما تعودوا عليه من الحياة المترفة في كل شيء، وهذا من حسن تقدير اختيار منطقة العمل، فلو استعرضنا خريطة العالم فلن نجد أفضل من أفغانستان والصومال واليمن لتكوين مناطق ودويلات حكم إسلامية فيها لأن طبيعة السكان ومستوى معيشتهم لن يتأثر بالعقوبات والحصار والمقاطعة التي تكون مصاحبة لمثل تلك المشاريع المنبوذة عالميا، إلا

أن السيناريو المتوقع في المنطقة العربية عموما والتي بدت ملامحه تظهر شيئا فشيئا يقود إلى حالة من الإضطراب العام والفوضى العارمة التي ستؤدي بدورهاإلى المجاعات والهجرات الجماعية، وعندها سيبحث الناس عن أهم خدمة حينها وهي الأمن وسيعطون الولاء لمن يوفرها لهم، وهنا يأتي دورنا في مرحلة ما بعد – عدن أبين – وهذا عين ما حصل مع حركة طالبان في بداياتها في أفغانستان عندما فرضت الأمن في مناطق حكمها فتسامع الناس بذلك فقاموا بدعوتها إلى ضم مناطقهم إليها مقابل فرض الأمن وإيقاف النهب والسلب والقتل، ونفس القصة في الصومال مع حركة الشباب المجاهدين. فالأمر يبدأ بتوفير الأمن كسلعة أساسية يستطيع المجاهدين تقديمها ثم يتطور الأمر بعد ذلك، والتحدي القائم الآن في مناطق أنصار الشريعة هو في إظهار مثال جيد في الأمن ومثال مقبول إلى حد ما في توفير الخدمات الأساسية حتى يتسامع الناس بذلك فتخرج الدعوة منهم بالقدوم إليهم.

٢ – الاستقطاب: يعتبر استقطاب الطاقات البشرية الموجودة في المنطقة واستثمارها في الإدارة والتوجيه والبناء من أهم التحديات القادمة فهذه المناطق فيها العلماء والدعاة وزعماء القبائل والأطباء والمهندسين وغيرهم من الثروات البشرية التي يمكن من خلالها تغطية الجوانب الدعوية والإعلامية والبنيوية للمدن والقرى في محافظات أبين، فالإستقطاب هو مؤشر النمو الحقيقي للحركة أو الجماعة وفي اعتقادي أنه لا أفضل من إدخال بعض تلك العناصر في مجلس شورى مصغر لشؤون المحافظات – إن أمن جانبهم – حتى يتم دمجهم والإفادة منهم في آن واحد، ويمكن كذلك تكليف بعض الدعاة والأكاديميين بوضع مناهج تعليمية إسلامية لمختلف الفئات العمرية وتشجيع ودعم ذلك حتى يكون بديلا عن التعليم التقليدي، ويمكن أيضا تكليف بعض العلماء بأمور القضاء والإشراف على القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنهم أفضل من يراعي أحوال الناس في ذلك، وتجب الإشارة هنا إلى أن مسألة استقطاب ودمج العلماء تدريجيا بأمور يستطيعوا بذل الوسع فيها هي أهم ما يجب الإهتمام به في هذا الجانب لأنهم ركن من أركان الحكم القويم ولا ينبغي التعنيف على من خالف منهم في السابق إنما هو يوم تقابل في الإسائة بالإحسان كما فعل نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام يوم الفتح، وهكذا شيئا فشيئا يتم توظيف هذه الشرائح المهمة في دفع عجلة البناء والتنمية..

٣ – الردع: في أي بقعة من العالم يتمثل الأعداء في قسمين عدو داخلي وعدو خارجي ولإسكات كلا النوعين يجب إيجاد قوة ردع عسكري ترغم منافقي الداخل على عدم إظهار نفاقهم وترغم العدو الخارجي على إعادة حساباته والتفكير ألف مرة قبل القيام بأي محاولة للتعدي والإعتداء علينا وقد تأخذ قوة الردع أشكالا متعددة في التعبير عن نفسها كالظهور الأمني المكثف في المناطق المسيطر عليها وعمليات الإغارة خارج مناطق النفوذ وتدريب وتخريج بعض الدفعات العسكرية من أبناء المنطقة.. جميعها دلائل تشير إلى القوة التي يمكن من خلالها إرهاب الأعداء كما في قوله تعالى

{وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم} فالقوة المراد تحصيلها هنا هي القوة التي ترهب أعداء الله لأنها وحدها هي التي توجد عامل الردع في نفوسهم، ولولا أني لا أريد

الإطالة هنا لذكرت لكم بعض أساليب الجيش اليهودي في ردع وترويض البلدان العربية فهم أبرع من مارس أسلوب الردع النفسي العسكري ضذ الخصوم.(إنتهى الإقتباس)

وطبيعة التحديات السابقة ستكون مستمرة ومتوقعة في الشام أيضا عند الوصول إلى مرحلة متقدمة من التمكين ولذلك يجب وضع تصور أولي لما يمكن أن تكون عليه الأحتياجات الأساسية في تلك المناطق ومن ثم تجهيز وتدريب وضم الكوادر الفنية القادرة على إدارة وتنسيق مثل تلك الخدمات ويجب الإشارة هنا أن من مبادئ حروب العصابات ألا يتم الإنتقال إلى مرحلة التمكين وممارسة السيطرة الدائمة والحكم في أرض معينة تضم مدن وقرى وسكان إلا بعد وجود القدرة على إدارة الخدمات الأساسية فيها حتى نتجنب أي تذمر وسخط شعبي يؤثر على ثقتنا بأنفسنا أو ثقة السكان في المناطق الأخرى بجدوى الإنظمام إلينا وقد راعيت هذا التدرج في المراحل التي اقترحت العمل بموجبها في مقالي [الجهاد على أرض الشام .. كيف ومتى ولماذا ؟] وقد جعلتها كالآتي :

إقتباس :

استراتيجية التحرك العسكري فيمكن أن تنقسم لثلاثة مراحل [البناء – القتال – التمكين] وهي كالآتي:

أولا: مرحلة البناء

تعتمد هذه المرحلة على السرية في كل شيء، وترفع شعار " البناء من خلال المعركة " بحيث يكون الشغل الشاغل للمجاهدين يتركز في تدريب وإعداد الكوادر العسكرية وبناء شبكات الرصد وتشييد البنية التحتية للمرحلة القادمة والتي تتطلب إمتلاك وتخزين كميات ضخمة من الأسلحة والذخائر، ويمكن تأمين ذلك عن طريق تجار السلاح وشبكات التهريب – ولكن لا يمكن الوثوق بهم الآن – أو من خلال الإغارة على الأرتال العسكرية أي أن الهدف الرئيسي لعملياتنا العسكرية في هذه المرحلة هو الحصول على السلاح من يد العدو – ومن يرجع إلى يوميات الجهاد السوري في الثمانينات يجد أن آلاف السوريين كانوا يريدون الإنضمام للمجاهدين إلا أن المجاهدين لم يكن لديهم في وقتها السلاح الكافي فضاعت من أيديهم فرصة ثمينة لاستثمار تلك الطاقات الهائلة –ولذلك كان أول عمل عسكري قام به المجاهدون في اليمن بعد اندلاع الثورة هناك وقبل سيطرتهم على [أبين] هو الإستيلاء على مصنع ومخزن للذخيرة، لأن الحرب لا قوام لها بلا سلاح وذخيرة وأي طرف يفقد السلاح أو تنفذ ذخيرته يخرج من المعركة فورا. ومن المهم في هذه الفترة أن نرتب بعض الإختراقات اللازمة في أجهزة العدو العسكرية والأمنية فالمتعاطفين كثر وخاصة في مناخ الثورة الحالي والذي ستصلنا فيه معلومات مهمة من مختلف المستويات ويمكن مراجعة ما كتبته في [حرب العقول] لمعرفة متطلبات العمل التجسسي، وتنتهي هذه المرحلة بمجرد بناء الخلايا العسكرية والإستخباراته والتنسيقية والإعلامية والطبية اللازمة للمرحلة التالية.

ثانيا: مرحلة القتال

تبدأ هذه المرحلة بالتزامن مع ضعف الشعور بجدوى المظاهرات السلمية ويرجع تقدير ذلك للقيادة، فعندما يدرك الناس عدم جدوى المشروع السلمي في إسقاط النظام نبدأ الإعلان عن مشروعنا المسلح لإسقاطه، ومن المهم هنا أن نبرمج جميع تحركاتنا العسكرية والسياسية والإعلامية لحشد الشعب والأمة خلف المجاهدين والخيار المسلح حتى نستفيد من الدعم الشعبي والعربي والإسلامي في تغطية تكاليف ومتطلبات العمل العسكري، والذي يجب أن نراعي فيه المبادئ العامة لحروب العصابات – يمكن الرجوع لمؤلفات أبي مصعب السوري فك الله أسره في هذا الشأن فهو خير من تكلم في ذلك – ففي الجانب العسكري مثلا يجب أن نخرج إلى الناس بإسم ملائم للمرحلة ومفهوم للعامة كمثل "كتائب مروان حديد" فالشهيد البطل مروان حديد –نحسبه كذلك–رمز من ر موز الجهاد ضد النظام النصيري وله ديوان شعر وقصص يمكن تحريض الناس بها.. إذا فنحن امتداد له! كما فعل بعض ثوار ليبيا عندما اختاروا اسم " كتيبة عمر المختار" وأنا هنا لا أريد التحدث عن التكتيكات التي يجب اتباعها لأنها مشروحة بإسهاب في نظريات حروب العصابات ولكن أود أن أشير إلى أننا نواجه عدو ضعيف من الناحية التقنية ولا يستخدم تكنولوجيا أو أساليب متقدمة في الحرب على عكس ما واجهناه مع الجيش الأمريكي في أفغانستان والعراق وهذا من شأنه أن يعطينا مساحة أكبر من حرية العمل فإن أضفنا إلى ذلك هزالة الآلة العسكرية للجيش السوري وضعف الروح المعنوية للجنود الذين استشرى بينهم داء الهرب بعد جرائم النظام الأخيرة فستكون فرصنا أكبر في اجتياز هذه المرحلة بنجاح، وأعتقد أن المعركة المناسبة ضد الجيش السوري هي التي تؤدي إلى تفكيكه وليس إلى هزيمته لأن الثانية مشوارها طويل أما الأولى فهي تستهدف نفسية الجندي الذي لم يحسم أمره بعد فهم السواد الأعظم في الجيش السوري فهؤلاء الجنود يخافون من بطش النظام بهم إن تركوا الخدمة في الجيش ويكفي أن نبطش بهم نحن أيضا حتى يتأكدوا أن الموت الذي يفرون منه فإنه ملاقيهم وعندها فقط سيتخذون القرار الصحيح ويبدأون في الهرب والتاريخ العسكري غني بنماذج فريدة من الحروب النفسية التي أغنت المنتصرين عن خوض أي معارك إضافية لتحقيق النصر، ومن أجل ذلك أقترح أن تقسم مناطق سوريا إلى مناطق ضغط ومناطق رعب، نضع في الأولى ثقل العمليات العسكرية ونعتمد في الثانية على ثقافة الكواتم والعبوات اللاصقة لملاحقة كبار المجرمين في المدن التي تشتد فيها قبضة الأمن – في هذا الجو من الحروب يتركز الأمن في المدن الكبيرة ويضعف بشدة على الأطراف – وهكذا تكون جميع شرائح العدو في متناول اليد.

وقد يقول قائل أن سخونة المعارك قد تؤدي إلى حملات عسكرية ضخمة تؤذي الأهالي وتهلك الحرث والنسل وأقول أن هذا الإحتمال وارد.. ولم يقل أحد بأننا ذاهبين في نزهة أو أن هناك حرب لطيفة وأخرى غير مؤذية!! ولذلك يجب أن تكون العقيدة القتالية عند المجاهدين واضحة بأننا ندافع ونقاتل نظام مارس القتل والتعذيب والترويع وتعطيل الشرع والتلاعب بأعراض المسلمين منذ أكثر من ٣٠ عام ومن الغباء أن يترك قتاله والثأر منه بعد

أن هيأ الله أسباب ذلك! وقد أثرت هذه النقطة حتى لا نتأثر بأي دعاوى تخرج لإيقاف إطلاق النار تحت أي ذريعة ولأي سبب كان سواء كانت تلك الدعاوى من بعض الأهالي المتضررين أو من أصحاب المصالح المتعطلة أو من الأحزاب السياسية المعارضة والتاريخ يشهد بأنه لم توجد حرب راعت مصالح المحيطين بها.. إنما هو التشريد والقتل والأسر والدمار حتى ينتصر طرف على آخر وعندها فقط يمكن تعويض من لحقه الضرر بما يلزم..

وقد أردت أن تتميز بداية هذه المرحلة بالسخونة الشديدة لغرض تكتيكي مهم وهو جر العدو لإستخدام المقاتلات الجوية في هجماته المضادة علينا وهو أمر سيحرص النظام على ألا يقع فيه حتى لا يفرض عليه مجلس الأمن [منطقة حظر طيران] كما فعل في البوسنة وكوسوفا والعراق وليبيا مؤخرا، فإن نجحنا في حرمانه من سلاح الجو أو أثرنا عنده هذه المخاوف كي لا يستخدمه بفعالية فعندها نكون قد حيدنا ذراع مهم من أذرعة الجيش السوري وستكون المعركة أكثر تكافئا من ناحية الأسلحة والأسلحة المضادة مثلما حدث في البوسنة والهرسك عندما فرض حظر الطيران على ساحة الحرب فأصبح المجاهدون يتعاملون مع الجيش الصربي معاملة الند للند! ويفترض في نهاية هذه المرحلة أن تكون التشكيلات المقاتلة قد استوعبت العمل على نطاقات أوسع وبأعداد أكبر وبشكل جماعي لترتقي إلى مستوى تشكيلات شبه نظامية وهي خطوة ضرورية للإنتقال للمرحلة التالية..

ثالثا: مرحلة التمكين

هي المرحلة التي تقدر فيها القيادة أن العدو على وشك الإنهيار العسكري في إقليم معين – أفغانستان واليمن تعيش هذه المرحلة الآن – وهذا الإقليم كنا قد ركزنا عليه ضغط العمليات العسكرية منذ بداية الحرب بناء على إختيار مسبق لأفضلية الموقع جغرافيا وبشريا ويمكن أن نقوم بهذه الخطوة بعد أن نعمل دراسة شاملة لأهم الخبرات الإدارية التي تتطلبها إدارة المرافق والخدمات الأساسية في الإقليم أو المحافظة ثم نتوكل على الله عزوجل ونبدأ بعمليات الفتح والسيطرة على المناطق بعمليات خاطفة ومتزامنة تنتهي بتطهير الإقليم من بقايا النظام السابق ونشرع بعد ذلك بتعيين مجلس حكم محلي لإدارة شؤون الإقليم وهذه هي أول خطوة في بناء أرضية الدولة الجديدة التي ستتخذ من هذا الإقليم قاعدة للتدريب والتموين ونموذج لفرض الأمن والنظام والعدل حتى تتسامع بذلك بقية المحافظات والأقاليم فنفتح بذلك قلوبهم قبل أن ننطلق لفتح أراضيهم.(إنتهى الإقتباس)

وفي اعتقادي أن مسألة إدارة هذه المناطق تحتاج إلى تنسيق على درجة عالية أكثر من أي شيء آخر ، فكل بلد فيه من الخبرات المحلية والتخصصات الفنية ما يكفي لتشغيل الخدمات وإدارة الموارد على أكمل وجه ويأتي دورنا فقط في توظيف هذه الطاقات والتعاقد معها من خلال مجلس بلدي أو محلي فأهل مكة أدرى بشعابها فبمجرد السيطرة الكاملة على منطقة المشروع وأقصد هنا السيطرة التي تلغي حالة الحرب مع الأعداء المحليين وتشطبهم من الخريطة أي في المرحلة التي نستطيع أن نتصرف فيها كدولة كاملة السيادة على أراضيها نكون عمليا قد وضعنا

أيدينا على كل ما في البلد من موارد ومصانع ومزارع وكما قلنا أن منطقتي الشام واليمن فيهما من مخرجات التعليم الفني ومن أهل الخبرة ما يزيد عن حاجتنا في إدارة تلك القطاعات بكفاءة ودون الحاجة إلى الخبرات الأجنبية ، فإدارة أي دولة ما يمكن أن تنشأ عن حالتين إما أن تأتي القوة الجديدة وتقفز على السلطة ثم تحاول أن تدير كل شيء بمعرفتها وعن طريق خبرات أجنبية كما حدث في الغزو الأمريكي للعراق الذي حل فيه الجيش العراقي وألغي جهاز الشرطة وغربلت وزارات أخرى وطرد موظفي الدولة المنتسبين لحزب البعث وأسندت الخدمات لشركات أجنبية أو مستشارين أجانب ودخلت البلد في دوامة كبيرة فشلت في إحداث النقلة المطلوبة في إدارة الدولة فسقطت حكومة "بريمر" في الإختبار وعجزت في كثير من المناطق عن توفير أبسط الخدمات الأساسية لساكنيها ،أما الحالة الثانية فهي ما حدث في غزة فعندما قفزت حركة حماس على السلطة في القطاع لم تلغي أجهزة الدولة آنذاك فيما عدا الأجهزة الأمنية التابعة لفتح كالأمن الوقائي واستطاعت إدارة موارد وخدمات القطاع بنفس الوتيرة التي استمرت رغم ظروف الحصار إلا أن حركة حماس كحركة شعبية متجذرة في القطاع وتحظى بالكثير من الكوادر الفنية كالمهندسين وكبار موظفي قطاع الخدمات والأطباء المنتمين للحركة لم تصطدم بمشاكل إدارية كالتي تنتظر أي قوة جديدة خالية من تلك الطاقات أو تعمل في مجال جغرافي جديد عليها ومع ذلك فأنا على ثقة بأن التنسيق الجيد لإستثمار عاملي الطاقات والخبرات في كل بلد سيكفي لإدارته بالشكل المطلوب والشواهد على نجاح ذلك كثيرة ومن أهمها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعمد إلى إقرار حكم الملوك والأمراء والزعماء على بلدانهم بعد دخولهم في الإسلام وفي ذلك إشارة إلى مبدأ إستثمار الخبرات المحلية في الإدارة والحكم ومن فوائد إتباع هذه الطريقة أنها تجنبنا كقوة عسكرية الإنزلاق في دهاليز ومشاكل الحياة الإدارية التي ستحولنا من قوة عسكرية إلى شركة مقاولات عامة بدون أن نشعر بذلك ! وقد وقع الضباط الأحرار في مصر في هذا المطب عندما أحبوا أن يحكموا السيطرة على كافة مؤسسات الدولة فقاموا بتعيين أوثق الضباط على رأس الوزارات والهيئات الحكومية والمشاريع الحيوية والأندية الرياضية أيضا وتناسوا الجيش والإهتمام به مما أثر سلبيا على جهوزيته للقتال فانتهزت إسرائيل هذه الفرصة وقامت بأنجح حرب لها على الإطلاق في العام ١٩٦٧ والذي أطلق عليه العرب عام النكسة !

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التحدي في توفير تلك الخدمات لا ينتهي عند حد تأمينها للمستهلك دون تأمين مصادرها من خطر الإستهداف والحصار والنضوب ! فالمصانع ومخازن الأغذية والدواء وغيرها معرضة للقصف من طيران العدو أو التخريب على يد العملاء أو النضوب جراء العقوبات الإقتصادية التي يمكن أن تفرض على الدولة كما حدث في حصار العراق وغزة وهنا تأتي مصطلحات الأمن الغذائي والأمن الدوائي والأمن الصناعي لمعالجة ذلك وقد أخذت كل دولة منحى في تأمين نفسها من هذه الأخطار ففي نهاية الحرب العالمية الثانية وفي مرحلة القصف الإستراتيجي للحلفاء فوق المدن الصناعية الألمانية والذي أرجع معظم تلك المدن إلى العصور الوسطى من هول الدمار الذي تعرضت له قامت ألمانيا جراء ذلك بتفكيك مصانعها الحيوية والمهمة في الغذاء المعلب الخاص

بالجيوش والذخيرة وتركيبها من جديد في مواقع تحت الأرض كي تتجنب القصف والتدمير فتدور عجلة الإقتصاد الحربي اللازمة للإستمرار في الحرب وكذالك فعل الروس إبان الإجتياح الألماني لأراضيهم فقد قاموا بتفكيك معظم المصانع الروسية في حركة دؤوبة تسابق وصول الألمان لموسكو ثم نقلوا كل ذلك إلى جبال الأورال ومن هناك باشر عمال المصانع عملهم وأنتجت المصانع الحربية الروسية من هناك دبابات T ٣٤ التي كان لها الفضل في الصمود في وجه الألمان ومن ثم الإنتصار عليهم ، وفي كوريا الشمالية اعتمدت الحكومة الشيوعية هناك على تأمين نفسها بوضع المصانع الأساسية في داخل الجبال وذلك بعمل تجاويف كبيرة في داخل الجبال تجعل المصانع في مأمن من القصف الجوي الذي تلوح به القوات الأمريكية من وقت لآخر ، ومما يذكر هنا أن كاسترو قد بدأ في تأمين الثورة الكوبية بإنشاء معمل صغير للذخيرة بين الجبال كي يضمن استمرار تدفق الذخيرة اللازمة للثورة وهذا ما ينبغي لكل من أراد عدم الوقوع تحت رحمة تجار السلاح ، أما على مستوى الأجهزة الألكترونية أو الطبية أو قطع الغيار اللازمة فهذه يجب أن تلعب دبلوماسية الدولة دورها في توفيرها للسكان مستفيدة من الثقل السياسي والعسكري الذي تحققه على الساحة الإقليمية فعندما فرضت الدول الغربية الحصار البحري على ألمانيا في الحرب العالمية الثانية استطاعت الأخيرة توظيف الإتحاد السوفيتي الخائف من القوة الألمانية كمندوب تسويق وشراء لما تريده وتحتاجه من الأسواق العالمية .. وبالعموم نستطيع القول بأن أي دولة أو كيان لا يمكن له أن يستمر في حالة من الحرب دون تحقيق الأمن الذاتي في المقومات الأساسية التي لا يستغني عنها سواء كان ذلك بتأمين مصادر هذه المواد أو بتوفير إحتياطات استراتيجية ضخمة منها أو بكليهما ، وقد اعتمدت قيادة القوات المشتركة في عملية عاصفة الصحراء على الطريقتين في تأمين إمدادات القوات من الوقود فعمدت إلى تأمين منطقة الصناعات النفطية في الشرقية بشبكة صواريخ دفاع أرض – جو مع حماية جوية متفوقة وقامت بجانب ذلك باستئجار ٧٠٠ ناقلة بحرية محملة بالوقود وجعلتها متمركزة في عرض البحر وخارج دائرة القصف الجوي للمقاتلات العراقية وهذين الإجرائين ظمنا للتحالف الدولي استمرار تدفق إمدادات الوقود لقواته .

٣ – التأمين الإستراتيجي

أستطيع تشبيه هذا البند بباب سد الذرائع في الفقه الإسلامي فالمقصود من الإجراءات المقترحة هنا هو العمل على شل قدرات العدو العملية على شن الحرب ضدنا وحرمانه من المميزات التي كانت تساعده في الدخول إلى المنطقة وكسر لفاتيح التي كانت تمكنه من ذلك ، ففي كل الحروب التي خاضها الأعداء لإخضاع المنطقة العربية كان النجاح في تلك الحروب يعتمد على بعض العناصر الجغرافية والسكانية والحيوية التي كانت و مازالت تتميز وتتمتع بها المنطقة وبما أن المنطقة العربية والتي ستضم دولة الخلافة تقع في محيط معادي على المستوى الإقليمي والدولي فلا يمكن لأحد أن يتوقع من أين وكيف سيأتي العدو ؟ ومن أجل الخروج من هذه الإشكالية يجب وضع

إجراءات إحترازية تعمل على المدى البعيد على إضعاف القدرة العامة لأي عدو من تحقيق أي إختراق للمنطقة وهي الإجراءات التي تعنى بها عادة مجالس الأمن القومي في الدول العظمى ، وبما أننا نتوقع بعد انتهاء مرحلة العمليات الرئيسية في القضاء على إسرائيل واندماج الشام واليمن وماحولها ومابينهما في كيان واحد وإعلان دولة الخلافة أن تكون هناك ردات فعل إقليمية ودولية قد تترجم إلى حملات عسكرية على مستوى لم نشهده من قبل وقد يتطلب إعداد مثل هذه الحملات وقتا طويلا بين دول الحلف المعادي على عكس الحملات السابقة ضدنا حتى تتمكن دول الحلف من بلورة خطة عسكرية موحدة وقيادة مشتركة وخطط تقسيم ثروات المنطقة بعد إحراز النصر وغيرها من الإجراءات التي تسبق مثل تلك التحركات الضخمة إلا أن كل هذه التحركات ستمر وتستفيد وتستغل بعض العناصر والمقومات الموجودة على أرض المنطقة والواجب علينا أن نبدأ بكشف هذه العناصر المساعدة ثم نعمل على تعطيل وتقليل فرص العدو من الإفادة منها ! فلو أننا نقاتل في مدينة يفصل بين شطريها نهر عليه جسر وهذا الجسر مهم لنا في التنقل وفي تغطية بعض الخدمات إلا أنه قد يكون من الضروري لنا أن نقوم بنسفه قبل أن يستخدمه الأعداء في العبور إلينا !

ومن أجل ذلك قمت بحصر مبدأي لأهم العناصر التي يمكن أن تهدد الأمن الإستراتيجي للمنطقة وبعد أن إنتهيت وبعد إستذكار سريع لأحداث السيرة وجدت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اعتمد على نفس هذه نمط هذه الإجراءات في تأمين الدولة الإسلامية على المدى البعيد ! فحفر الخندق يوم أحد وحرق نخيل بني النضير وإجلاء يهود المدينة والأمر بإخراج المشركين من جزيرة العرب كلها إجراءات كانت تختص وتصب في خانة التأمين الإستراتيجي للدولة ، فحفر الخندق ساعد على إغلاق المنطقة في وجه الأحزاب الذين لم ينجح تحالفهم المكون من ١٠ آلاف مقاتل من إجتياز ذلك العائق وحرق نخيل بني النضير قطع علائق نفوسهم بالمنطقة بعد أن رأوا النار تأكل أموالهم التي لا يمكن البقاء في المدينة بدونها أما إجلاء اليهود من المدينة والأمر بإخراج المشركين من جزيرة العرب فقد جاء كإجراء وقائي لتأمين الجبهة الداخلية من محاولات الإختراق الخارجي عن طريق الأقليات المعادية التي تعيش في داخل الدولة .. فهذه الخطوات الثلاثة جاءت كنموذج مثالي لمن أراد تأمين أي حيز جغرافي مهم كالعاصمة النبوية التي نفذت فيها تلك الإجراءات التي تلخصت بإغلاق المنطقة جغرافيا وقطع علائق نفوس الأعداء بها وتهجير الأقليات المعادية مفاتيح العمل الإستخباراتي لكل غازي ، ومن خلال هذا المثال النبوي أقول أن التأمين الإستراتيجي للمنطقة العربية التي تضم دولة الخلافة التي سيكون قلبها ممتدا من الشام إلى اليمن وهو الشريط الإستراتيجي للدولة والذي يربط المخازن البشرية الأهم في المنطقة وهم أهل الشام وأهل مصر وأهل اليمن .. أقول وبالله التوفيق أنه لتأمين هذا الشريط ومجاله الحيوي يجب أن نضع في أولوياتنا وأمام أعيننا ثلاثة خطوات تأتي مباشرة بعد إعلان وتمدد دولة الخلافة وهي كالآتي :

أ – إغلاق قناة السويس وتضييق باب المندب

هذا الإجراء يأتي بالدرجة الأولى لظمان إنتقال الجيوش الإسلامية من الشام إلى مصر وبالعكس بالسرعة المطلوبة ولتفويت الفرصة على الحملات العسكرية للأعداء من الإفادة من هذا الممر الإستراتيجي وبذلك تجد أي حملة بحرية عسكرية نفسها مرغمة على الدوران حول قارة أفريقيا والإلتفاف من رأس الرجاء الصالح والصعود مرة أخرى للوصول إلى البحر الأحمر عبر مضيق باب المندب وهو الذي سنعمل على تضييقه بحيث لا يسمح بعبور حاملات الطائرات والبوارج من خلاله ونضعه في نفس الوقت تحت التهديد المباشر للسلاح وبهذه الصورة نكون قد جعلنا البحرالأحمر محمية خاصة بالدولة – كما كانت في عهد بني عثمان – وحرمنا الأعداء من فرصة الإنزال البحري على الساحل المحاذي للحجاز أو المؤدي إلى جنوب الشام كما فعلت الحملات العسكرية البريطانية في العالمية الأولى وهذا من شأنه تأمين الشريط الإستراتيجي للمنطقة [إمتداد الشام الحجاز اليمن] وجعله يتمتع بعمق جغرافي استراتيجي ومهم للدفاع عن المنطقة الأم (مكة – المدينة) فهذا الشريط بهذا الشكل سوف يكون بين مناطق مؤيدة للدولة وتتمتع بمساحات شاسعة يمكن استخدامها في تعطيل تقدم أي عدو من تلك الجهة وهي الخط المعادي لبادية الشام شمالا ثم نجد في الوسط ثم حظر موت في الجنوب فهذا الخط العامودي ومايليه إلى العراق وساحل الخليج العربي هو بمثابة منطقة أمان شرق الدولة ثم يأتي البحر الأحمر بطوله الممتد من سيناء إلى مضيق باب المندب كمنطقة أمان غرب الدولة بعد أن نقوم بإغلاقه من الأعلى وتضييقه من الأسفل كما مر معنا ، والحقيقة أن حركة التمازج والتفاعل التاريخي بين قطبي المنطقة العربية الشام ومصر قد تأثرت كثيرا بحفر هذه القناة المشؤومة وقلت بسببها قدرة الشعوب الإسلامية على نجدة بعضها البعض في أوقات الحروب ومهما كان للقناة من مردود مالي فإنه أقل بكثير من المخاطر التي تمر من خلاله ومسألة ردم القناة ليست ذي بال فقد جاء في مذكرات رئيس أركان حرب القوات المصرية في حرب أكتوبر الفيق سعد الدين الشاذلي أن السادات سأل أحد كبار المهندسين عن إمكانية ردم القناة لتكون ممرا بريا تعبر عليه القوات دون الخوف من تدميره من قبل الطيران الإسرائيلي كما هو الحال مع الكباري الصناعية فأجاب بإمكانية ذلك ! ولكن سرعة أحداث الحرب صرفت نظر السادات عن ذلك ، وقد نفذت القوات البحرية المصرية مع بداية تلك الحرب عملية إغلاق جزئي لمضيق باب المندب بواسطة سفينتين حربيتين منعتا أي سفينة تحمل العلم الإسرائيلي من عبور المضيق فوقعت إسرائيل في حصار بحري في منطقة البحر الأحمر وأصبح ميناء إيلات الإسرائيلي في خليج العقبة لا قيمة له ! وأصبح لزاما على الناقلات المحملة بالنفط الإيراني والمتجهة إلى إسرائيل أن تبحر من الموانئ الإيرانية من الخليج العربي إلى بحر العرب ثم تبدأ بالدوران حول القارة الإفريقية ثم الأطلسي فالمتوسط لتصل إلى الموانئ الشمالية لدولة يهود وهذا ما جعل نفط الشاه الرخيص أكثر تكلفة على اليهود من غيره وهذا ما سيرغم الأعداء على سلوك نفس الطريق المكلف والطويل عليهم إلا أننا نحتفظ بمفاجأة أخرى !

ب – تدمير صناعة النفط !

إن كانت نفوس بني النضير قد تعلقت بنخيل المدينة فإن نفوس الغرب متعلقة أكثر ببحور النفط في الخليج وقد كان افتقار منطقة جزيرة العرب للثروات عاملا أساسيا في زهد القوى العظمى فيها ولم يبدأ الإهتمام العالمي بهذه المنطقة إلا بعد ظهور النفط فيها في خمسينيات وستينيات القرن الماضي ثم تطور الأمر مع مبدأ "كارتر" الذي إعتبر أن الخليج العربي منطقة حيوية للإقتصاد الأمريكي وأن أمن الخليج هو مسألة أمن قومي للولايات المتحدة الأمريكية ولذلك أنشأت قوات التدخل السريع لظمان استقرار هذه المنطقة ثم أنشأت "القيادة المركزية" للعناية بذلك والتي كان على رأسها الجنرال شوارزكوف الذي قاد أول حرب ضد أول تهديد لبترول المنطقة ، والحقيقة أن الغرب قد ربط نفسه بهذه المادة الحيوية بشكل جعل منها عصب الحياة في المجتمعات الغربية وإن كان الأمريكان قد تركوا ركوب السيارات وامتطوا الدراجات الهوائية بعض الوقت في أعقاب قرار الحظر العربي على تصدير النفط عام ١٩٧٣ فإنهم لا يملكون التأقلم مع ذلك بعد الطفرة التكنولوجية الحالية وبعد التمدد الإمبراطوري لهم في العقدين الأخيرين ، فالولايات المتحدة الآن تستهلك ربع الإستهلاك العالمي من النفط ! والبنتاغون لوحده يستهلك ما تستهلكه دولة السويد من الوقود !! وهذا الإستهلاك محسوب بالمعدلات اليومية أي أن أي تأخير حقيقي في إمدادات النفط سيلقي ظلاله اللحظية في نفس اليوم على أسعار النفط ثم على مخزون الإحتياط الإستراتيجي للنفط ثم تبدأ قيود الإستخدام ونظام الحصص بالعمل ! وأي شلل لصناعة النفط في الخليج هو شلل حقيقي لقدرة الولايات المتحدة في ممارسة نفس الدور الإمبراطوري الذي تمارسه الآن على مستوى العالم ، ولذلك ينبغي لنا أن نحافظ على قدراتنا الذاتية في تدمير صناعة النفط على الساحل الخليجي من وقت لآخر وفي هذه العبارة إيحاء بأننا لن نحقق تواجد دائم على ذلك الساحل لأني أظن أن من الخطورة بمكان ضم ذلك الشريط للدولة في بداياتها الأولى لأن كل القوى العالمية سواء كانت أمريكا أم من سيأتي بعدها كالصين والهند وغيرها ستحاول الإستقتال للسيطرة على ذلك الشريط بعقد الإتفاقيات الأمنية مع حكومات المنطقة أو بالإحتلال المباشر لمنابع النفط وهي حالة من الهياج يجب أن نتوقعها ويجب أن نتعامل معها بحذر ! فهذه الحضارات الصناعية الناشئة تعرف قيمة النفط لها ومستعدة لقذف مئات الألوف من أبنائها في سبيل تأمين تلك المادة فبلد كالصين لا تضع إعتبارات كبيرة للرأي العام المحلي في أعداد القتلى كما هو الحال مع المجتمعات الغربية ولذلك أرى أن هذه الحالة تستوجب الحضور الجزئي من جانبنا في تلك المنطقة والذي يجب أن يتمثل في إظهار قدرة على تدمير وتعطيل إنتاج وصناعة النفط هناك فعملية إنتاج وتكرير وتصدير النفط تستوجب مناخا مستقرا حتى تنجح العملية وتستمر ولذلك وضعت نظرية "العامودين" لحماية إستقرار المنطقة ثم لما سقط نظام الشاه ثم اشتعلت الحرب الإيرانية العراقية في الثمانينات وبدأ معها استهداف ناقلات النفط وتهديد صناعة النفط في الخليج من قبل إيران عمدت القيادة السعودية إلى وضع المنطقة الشرقية وهي منطقة النفط الحيوية تحت اجراءات الحظر الجوي للطيران العسكري ورسمت خط طول لا يتعداه الطيران وأطلق عليه " خط فهد " وأي تهديد فعال ومستمر من قبلنا لصناعة النفط في المنطقة سيجعلها خاضعة لنا فالدرس الذي يجب أن تعيه أي قوة تريد الإستفادة من نفط

الخليج هو أن بوابة ذلك الإستثمار تمر بنا وأننا نحن فقط من يستطيع إعطاء الإذن بذلك ! وهو نفس الدور الذي تلعبه إيران على الساحة السياسية العراقية دون أن يكون لها جندي واحد هناك !!

وفي اعتقادي أن ورقة إدارتنا لموضوع النفط بهذه الطريقة التي لا تدخلنا في مواجهة مباشرة مع القوى الإقتصادية الشرقية المتعطشة للنفط وبنفس الوقت تجعلنا الجهة الوحيدة القادرة على إعطاء تراخيص العمل بذلك نكون بذلك قد حققنا شرخ كبير في منظومة التعاون بين الدول العظمى التي ستتضارب مصالحها طبقا لتعاون أي طرف منها معنا وفق الشروط التي نضعها والتي يجب أن تصب على المدى المتوسط في زيادة التباعد السياسي والعسكري بين العالمين الشرقي والغربي وهو التباعد الذي سيوفر لنا المناخ المناسب لبناء قوة الدولة .

ج – تهجير الأقليات المعادية

إن كان تآمر يهود المدينة على المسلمين ونقضهم العهد مع النبي صلى الله عليه وسلم كافيا لإتخاذ القرار بإجلائهم عن المدينة فالتاريخ يحمل من الشواهد مايكفي لإجلاء الأقليات الدينية المعشعشة في المنطقة العربية ، فالسجل الإجرامي لهذه الأقليات في التآمر على المسلمين وخاصة في فترات الإستعمار التي كانوا خير معين له علينا هي أكبر دليل على ذلك ، وقد شهد القرن الماضي عمليات تهجير جماعي مروعة بحق بعض الشعوب ، فالنظام الشيوعي في فترة لينين ثم ستالين عمل على تهجير بعض الشعوب الإسلامية من القوقاز إلى متاهات سيبيريا بجانب عمليات الإبادة الجماعية في حق الشعوب الإسلامية الأخرى التي بلغت في عهد لينين وحده ٢٥ مليون قتيل من جانب المسلمين ! والألمان أيضا قاموا بتهجير اليهود من أراضيهم إعدام الكثير منهم في أفران الغاز بعد اتهامهم بالتآمر على الدولة والهند كذلك قامت بعمليات تهجير وإبادة مروعة لمسلمي كشمير في محاولة بائسة لتغييرالجغرافيا الدينية للمنطقة والجيش الباكستاني أيضا قام بعمليات قمع عنيفة لترويض الشعب البنغالي المنتفض عليه فأدى ذلك إلى نزوح وهجرة ١٠ ملايين بنغالي إلى الجانب الهندي مما أدى إلى أزمة عالمية انتهت بانفصال بنغلاديش عن الباكستان وقل نفس الكلام عن عمليات تهجير الفلسطينيين من فلسطين ومن العراق مؤخرا .. ونحن كمسلمين لاندعوا إلى الإسراف في إنفاذ هذا المبدأ كما فعله أولئك الطغاة الذين إكتويت البشرية من شرورهم ولكننا نحمل من المبررات الشرعية والتاريخية والسياسية ما يتيح لنا إتخاذ الإجراء الإحترازي السليم في حقهم والذي سنحاول كدولة ترتيبه لهم بطريقة عادلة .

لقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم من عملية إجلاء اليهود عن المدينة تأمينها من الداخل بوصفها الرقعة الجغرافية الوحيدة للمسلمين آنذاك ثم لما اتعست رقعة الدولة لتشمل كامل جزيرة العرب أمر بإخراج المشركين من الجزيرة .. وأعتقد وفي تصوري أن وصول الخلافة إلى منطقة الشام واتخاذ القدس كعاصمة للخلافة وهو أحد الإفتراضات الإستراتيجية المطروحة – والتي أميل إليها بشدة لأنها تعطي رسالة واضحة للغرب ولليهود بأننا باقون في القدس –

يستوجب علينا ومن مبدأ تأمين قلب الدولة أن نعمل على تهجير الأقليات الدينية من تلك المنطقة وجعل الشام ثاني منطقة محظورة على غير المسلمين بعد جزيرة العرب ، وإن كانت مسألة إخراج المشركين من جزيرة العرب ضرورة فرضتها النصوص الشرعية فإن إخراج المشركين من الشام ضرورة فرضها الواقع السياسي والعسكري والثقافي الذي رسمته القوى العظمى وسنت له القوانين بحيث يجعل أولئك الأقليات مفاتيح للدخول إلى المنطقة وللتدخل في شؤونها الداخلية بدعوى حماية الأقليات وحقوق الإنسان والحريات العامة والتي تمارس ضد دول العالم الثالث دون غيرهم أي أن هناك نظام عالمي أو لنقل ثقافة سياسية دأبت عليها الدول الكبرى في العمل على تشجيع هذه الأقليات على الحركة المستمرة داخل تلك الدول حتى تحدث حالة من الإضطراب الداخلي تستثمر في تنفيذ أي أجندة لتلك القوى في هذه الدول ومن يقرأ في التاريخ يرى أن الإضطرابات الداخلية في أي دولة غالبا ما تنشأ عن ذلك وهذا ما كان يمارسه السفراء الأجانب في الدولة العثمانية بالتعاون مع الأقليات في الدولة والتي نجحوا أيما نجاح في العمل من خلالها لتفكيك الدولة الأم ، فسياسة دعم الأقليات والعمل من خلالهم والتي أنتجت النظام اللبناني الماروني والنظام السوري النصيري دولة إسرائيل وجنوب السودان وغيرهم لا يمكن التعايش معها في مناطق الحساسية البالغة في الدولة كالإقليم الذي تقع فيه العاصمة أو الذي يتوقع أن يكون مسرحا للحملات العسكرية الآتية من الخارج كما هو متوقع في الشام فلا يمكن لنا سياسيا أن نشعر بالإستقرار في ظل وجود مثل هذه الثغرات التي توظفها القوى العالمية في إشعال الإضطرابات الداخلية في الدولة ولايمكن لنا عسكريا أن نقاتل العدو الخارجي في ظل عدو داخلي ينتظر تسديد طعنات لنا في الظهر إن مالت الكفة العسكرية علينا أو حين يطلب منه ذلك في الوقت المناسب ! ولذلك عندما حظرت الأحزاب وطوقت المدينة كان من أول ما أهم النبي صلى الله عليه وسلم وأراد التأكد منه هو موقف العدو الداخلي والمتمثل باليهود ولذلك أرسل النبي صلى الله عليه وسلم صحابيان لجس نبض اليهود ! ولأننا قد مررنا بتجارب كافية في جس نبض الخيانة والتآمر عند هذه الأقليات سواء كانوا نصارى الشام الذين رحبوا بالجنرال غورو أثناء دخوله دمشق ورحبوا بالحملات الصليبية وبالتتار قبل ذلك ومنهم استطاع اليهود تشكيل جيش لبنان الجنوبي لحماية شمال إسرائيل ولإشغال المقاومة بنفس الوقت ! أو الدروز الذين انخرطوا في جيش الدفاع الإسرائيلي أو النصرية الذين لا يخفى خطرهم على الإسلام وأهله والأحداث الأخيرة قد كشفت جزء من حقدهم الأسود على المسلمين .. فلذلك أرى أنه من الواجب علينا بعد أو قبل إعلان دولة الخلافة بحسب الظرف أن نعمل على طرد اليهود وتهجير النصارى والدروز والنصيرية والبهائية بالإضافة إلى الشيعة وعبدة الشيطان وغيرهم من المشركين من كافة الأراضي التابعة لمنطقة الشام .. وفي اعتقادي أن أفضل مناخ لتنفيذ هذا المخطط يأتي في حالة من الحرب وليس في حالة من السلم أي أنه من السهل علينا اتخاذ مثل هذا الإجراء قبيل إنتهاء العمليات العسكرية الخاصة بتمهيد إعلان الخلافة لأن اللغط والصخب الذي يمكن أن ينتج عن مثل هذا الإجراء أو يمنع من تنفيذه يمكن أن يتلاشى مع غبار الحرب لأن عمليات التهجير ستأتي كجزء من مشهد الحرب وليست منفصلة عنه وبعبارة أوضح أقول أن أفضل سياسة للتعامل مع ملف الأقليات وما يحمله من مخاطر هو بفرض واقع جديد خالي من تلك الأقليات وأفضل توقيت

لهذا الإخلاء هو في ظل نهاية العمليات العسكرية الكبرى كما كانت تفعل الجيوش الحديثة عندما تضاعف عملياتها الحركية والعسكرية في اللحظات الأخيرة قبل إنتهاء المعركة لفرض واقع جديد يستطيع السياسيون التفاوض بموجبه !

* بقي أن أقول أن هذه التصورات لما قد نشهده في الأحداث القادمة ومايمكن أن نقوم به ليست مبنية فقط على إيحاءات الثورات العربية وإنما وضعت من خلال عبور المسار العام للتيار الجهادي من خلال محطة الثورات العربية وما يمكن أن تشكله هذه المحطة بالنسبة لذلك المسار وهو ما أشرت إليه في مقدمة المذكرة من أن ذلك سيعطينا قفزة ماراثونية لم تكن لتخطر على قلب بشر !

وحتى لا يكون الكلام جزافا وللتدليل على أن محطة الثورات العربية هي محطة إستثمار وليس محطة إنطلاق للمشروع الجهادي الذي استكمل شروط الإستفادة من هذا الحدث التاريخي والذي جاء في التوقيت الرباني المناسب بعد أن مر التيار بمراحل فكرية وتنظيمية وتجارب وابتلاءات وخبرات ما كانت لتؤتي ثمارها لولا أن الله هيأ لها ما هيأ من هذه الثورات { ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا } أقول للتدليل على أن التيار الجهادي قد استكمل وتطور ومر بمراحل تؤهله لأن يكون اللاعب الرئيسي في المرحلة القادمة فقد كنت قد كتبت قبل حوالي العامين ووثقت رصد تاريخي للمسار الجهادي العام منذ انطلاقته الفكرية الأولى إلى أيامنا هذه وبودي أن يتأمل القارئ في فقرات نمو هذا التيار وتمدده الفكري والتنظيمي حتى يدرك أننا أمام زرع قد آن أوان حصاده !

إقتباس من " دراسة استراتيجية خاصة بالصراع العالمي ومكان التيار الجهادي منه " :

الحقيقة أن مؤشر قوة المسار الجهادي واستمرار صعوده كان متزامنا مع المؤشر الأمريكي وكأنهما خطان متعارضان إنطلقا من نفس المستوى ليلتقيان في الوسط وكل منهما في أوج قوته ! وأهم مايميز هذا المسار الجهادي أنه بنى نفسه من خلال التجارب الحية ولم يكن أسيرا للنظريات العقيمة التي قيدت غيره من المدارس ، وقد انطلقت الشرارة الأولى للفكر الجهادي على يد (المودودي – سيد قطب) فكونت الأساس الحركي للتيار الجهادي الذي اتخذ من فقه ابن تيمية أساسا شرعيا له ، وقد مر هذا التيار بثلاثة رموز تاريخية عبر من خلالها إلى العالم وهم / سيد قطب / عبدالله عزام / أسامة بن لادن .

وفيما يلي تفصيل المراحل :

أ – الجهاد الشعبي

سقطت الخلافة عام ١٣٤٢ للهجرة وسقط معها آخر ما كان يجمع شتات المسلمين ، وقد تشكلت قبل هذا التاريخ وبعده جبهات الجهاد الشعبي من باكستان إلى أقصى المغرب الإسلامي بجهود شعبية بحته مدعومة من قبل العلماء كالإمام شامل الذي أشعلها في القوقاز وعزالدين القسام الذي حمل لواء الجهاد في فلسطين وعبدالكريم الخطابي الذي أنشأ جمهورية الريف الإسلامية وأذاق الأسبان والأوربيين الويلات على أرض المغرب كما حدث في معركة (أنوال) عام ١٩٢١ التي هزم فيها الخطابي جيوش خمس دول أوربية فقتل ٢٥ ألف صليبي وأسر قرابة ٢٠ ألف آخر منهم ١٠٠ جنرال خمسة منهم برتبة مارشال ! ، ومع أن الفكر الصوفي الداعي إلى الصبر المذموم على الظلم كان قد انتشر في معظم بلدان المسلمين كالجزائر التي قال أحد رموز الصوفية فيها آنذاك : إن دخول الفرنسيين من قدر الله علينا ومحاربتهم من الإعتراض على قدر الله ! ومع ذلك إلا أنه قد خرجت حركات صوفية مقاتلة تطالب بإخراج المحتل وتنتقم لأعراض المسلمين المنتهكة كحركة عمر المختار رحمه الله الذي قاتل الطليان ٥٠ سنة .

وهكذا بدأ الجهاد في هذه المرحلة بدافع فطري ديني مباشر ، وقد ساعد على ذلك وضوح الوجه الصليبي للأعداد وهو ما حرصوا على تداركه في المراحل التالية ، فالفرنسيون عندما دخلوا الجزائر لم يكتفوا باحتلال الأرض وتسخير الشعب بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك عن طريق فرض اللغة الفرنسية على الجميع وفي كل دوائر الدولة وتشجيع هجرة الفرنسيين إلى الجزائر وتمليكهم مزارع السكان الأصليين وغيرها من أساليب الغزو الفكري والإستيطان والذي يعاني منه المسلمون في الجزائر إلى أيامنا هذه .

وقد افتقر الجهاد الشعبي في هذه المرحلة إلى الفكر الجهادي والرؤية السياسية الواضحة للأحداث والصراعات المحيطة به فكان عرضة للإستغلال من قبل الأعداء الصليبيين أنفسهم عن طريق إسقاط ثمرة الجهاد في أيدي عملائهم المحليين فكأنهم خرجوا من باب ودخلوا من آخر ! فمن قلب جزيرة العرب خرجت جماعة (إخوان من طاع الله) والتي لم تكن تفتقر إلى الرؤية الشرعية الصحيحة بل كان الخلل في تصورها السياسي لطبيعة النظام الحاكم في الرياض ، فكانت رأس حربة في حروب الإمام المزعوم عبدالعزيز بن سعود الذي لم يجد صعوبة في التخلص من الجماعة في معركة السبلة عام ١٣٤٧ للهجرة بعد أن انتهت مهمتها بالنسبة له ، وهكذا كان الحال بصورة أو بأخرى في بقية البلدان الإسلامية ، وقد خرج المستعمر من هذه المرحلة بفكرة واضحة أن قوة المسلمين تكمن في عقيدتهم الإسلامية ومدى تمسكهم بها ، ولذا فقد عقد العزم على مسخ هذه العقيدة بكل ما أوتي من قوة وقد أوكل لعملائه من بعده إنجاز هذه المهمة .

ب – الجهاد القطري

جذور هذه المرحلة تمتد وتستند إلى أفكار سيد قطب رحمه الله عن الجهاد والحاكمية والتمايز عن الكفر والمفاصلة عن الجاهلية والتي استمدها من المودودي رحمه الله ، فبدأت ولأول مرة تظهر سمات فكرية مميزة وواضحة للحركات الجهادية التي آمنت بأن العقبة الأولى أمام عودة الإسلام الحقيقي للمسلمين ورفع الظلم عنهم هي بإزاحة هذه الأنظمة العميلة التي زرعها العدو قبل رحيله ، كما قال سيد قطب عند إعلان إنسحاب القوات البريطانية من مصر (خرج الإنجليز الحمر وبقي الإنجليز السمر!)

ويجب التأكيد هنا على أننا نتتبع جذور مسار الخط الجهادي الذي يحمل شعلة الجهاد العالمي اليوم والذي بات يعرف باسم (السلفية الجهادية) ولا نقصد أي جماعات مشوهة الفكر والتصور كحركة حماس وجبهة مورو الإسلامية وغيرها وإن كانت تنطلق وتمتد من نفس الجذور التاريخية ، فكتب الإمام سيد قطب قد ترجمت إلى العديد من اللغات واعتمدتها الكثير من الجماعات الإسلامية على مختلف أنواعها من الشرق إلى الغرب ، ولكنها لم تلاقي القالب المناسب لها إلا عند أصحاب المنهج السلفي في إتباع الكتاب والسنة ، فأنتج هذا التزاوج الفكري مقاتلين (عقائديين) أخذوا على عاتقهم مقارعة العدو القريب والمتمثل في الحكام المرتدين المبدلين لشرع الله ، منطلقين من قوله تعالى [يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة] فتفجرت نتيجة لذلك سلسلة من الحركات والتنظيمات الجهادية في شتى بلدان المسلمين ، وكانت كما رصدها الشيخ أبو مصعب السوري حفظه الله في كتابه (سرايا المقاومة) كالتالي :

١ – تجربة حركة الشبيبة المغربية بقيادة عبدالكريم مطيع ١٩٦٣
٢ – تجربة تنظيم الجهاد المصري ١٩٦٥ – ٢٠٠١
٣ – التجربة الجهادية في سوريا ١٩٦٥ – ١٩٨٣
٤ – تجربة حركة الدولة الإسلامية في الجزائر ١٩٧٣ – ١٩٧٦
٥ – تجربة الجماعة الإسلامية في مصر ١٩٧٥ – ٢٠٠١
٦ – التجربة الجهادية في تونس أوائل الثمانينات
٧ – تجربة الجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا ١٩٩٠ – ٢٠٠١
٨ – التجارب الجهادية المعاصرة في الجزائر منذ ١٩٩٠
٩ – التجارب الجهادية في اليمن منذ ١٩٩٠
١٠ – المحاولات الجهادية في المغرب منذ ١٩٩٥
١١ – محاولة الأفغان العرب في جبال النبطية ١٩٩٩

١٢ – التجربة الجهادية في طاجكستان ١٩٩٢ – ٢٠٠٠
١٣ – التجربة الجهادية في أوزبكستان ١٩٩٨ – ٢٠٠١
١٤ – التجربة الجهادية لمجاهدي تركستان الشرقية ١٩٧٥ – ٢٠٠١

الحقيقة أن الجماعات الجهادية قد خرجب من هذه المرحلة وهي مثخنة بالجراح والقتل ، فالتجارب القاسية التي خاضها الجهاديون في حماة سنة ١٩٨٢ وفي التسعينيات في الجزائر كانت ذات طابع دموي واجهت خلاله الفئة المجاهدة الكثير من المكائد المحاكة في أجهزة الإستخبارات التي اخترقت وكافحت واعتقلت وعذبت وقتلت ولم تدخر شيئا في هذه المعاركالمصيرية لأنظمتها الحاكمة بما أن القتال يستهدف إسقاطها بالدرجة الأولى ، مع ذلك كل هذه الجماعات قد خرجت بموروث كبير من التجارب الميدانية والخبرة العملية في العمل الحي مع الناس سواء المؤيدين أو المعارضين ، وهذه الخبرة كانت ضرورية جدا لإشباع القناعات في المراحل القادمة ، أي أن الجهاديين لم يكن ليصلوا إلى ما وصلوا إليه اليوم إلا بخوض سلسلة التجارب السابقة ، فالدروس الميدانية أبلغ من أي شيء آخر في فهم الواقع وما يلزم له ، ومن هنا يتضح لنا أهمية اجتياز هذه المرحلة وأنها بالفعل كانت بمثابة الأرض القاحلة التي لابد للمسافر أن يجتازها حتى يصل إلى مبتغاه .

ج – الجهاد الإقليمي

تعتبر هذه المرحلة الناقل الرئيسي لجميع الحركات الجهادية من مسرح عملياتهم المحدود إلى خارج حدود بلدانهم ، فقد أدى القمع الشديد الذي تعرضت له الجماعات الإسلامية في المرحلة السابقة إلى بحثهم عن أي (نجاشي) يستظلون في ظله حتى يلموا شعثهم ويدربوا كوادرهم ويرتبوا أوراقهم من جديد ، ولم يكن أفضل من أفغانستان لهذه المهمة ، فمع تفجر الجهاد بزعامة العلماء والحركات الإسلامية ضد المد الشيوعي في افغانستان عام ١٩٧٩ انصبت جموع شباب المسلمين من كل حدب وصوب جنبا إلى جنب مع الجماعات الإسلامية التي وجدت في أفغانستان أملها المنشود ، وبزغ نجم الشيخ عبدالله عزام رحمه الله في هذه القضية التي رأى فيها ما لم يرى في غيرها . . . .

لقد كانت محطة أفغانستان نقطة تحول كبيرة بالنسبة للجماعات الجهادية التي اختلطت فكريا مع بعضها البعض وتعرفت على قضاياالمسلمين المختلفة وأصبح الهم مشترك والنضج أكبر والرؤية أوضح بعض الشيء ، أما على صعيد الأمة الإسلامية فلأول مرة منذ زمن بعيد يناقش أمر الجهاد على العلن وفي صفحات الجرائد وعلى شاشات التلفزة بعد أن كان نسيا منسيا ! وقد استغل الشيخ عبدالله عزام هذه الفرصة الكبيرة بأفضل ما يمكن أن تستغل به لأنه أدرك أن الضوء الأخضر العالمي لدعم الجهاد ضد الروس والتسهيلات التي وافقت ذلك لن تدوم

طويلا وستنتهي وتقمع بانتهاء المهمة المطلوبة منها ، فبدأ يجوب الأرض من باكستان إلى أمريكا محرضا المسلمين على الجهاد وشارحا لهذا المصطلح الذي كاد أن يندثر من حياة المسلمين ومتجاوزا لكافة العقبات الفقهية والشبهات الشرعية التي اعترضت طريق الجهاد في تلك الفترة ، فأثمر ذلك عن أكثر من ٤٠ ألف مجاهد حضروا ساحة القتال في أفغانستان واستفادوا فكريا وتربويا وعسكريا من هذه التجربة المفصلية من عمر الجهاد ، وقد تنبه لذلك الغرب فكتب أحد اليهود الأمريكيين تقريرا بعنوان (What we Have Done ?)
أي ماالذي فعلنا ؟ ، ومن هذه النقطة استمر المجاهدون بعد ذلك في المسار الإقليمي وأخذوا زمام المبادرة في قضايا الأمة المصيرية ، ففي البوسنة والهرسك ظهرت (كتيبة المجاهدين) بقيادة الجزائري أبوالمعالي ، وفي الشيشان شارك القائد خطاب من بلاد الحرمين في قيادة العمليات العسكرية في الحربين الأولى والثانية واستمر المجاهدون في تقديم النصرة في بقية بلدان المسلمين ككشمير والصومال والفلبين وكوسوفا وبورما وغيرها .

ونستطيع القول أن الجهاد قد قطع شوط طويل حتى وصل إلى هذه المرحلة ، فلم يعد الجهاد ردة فعل مجرة خالي من أي فكر يقوده وينظمه كما كان في مرحلة الجهاد الشعبي ، ولم يعد الجهاد محدودا في حدود سايس – بيكو التي اختطها لنا العدو لنراوح مكاننا فيها ، بل تعدى الأمر إلى أن يكون للمجاهدين (قوات تدخل سريع) كما سمعوا هيعة أو فزعة طاروا لنجدة المسلمين ولو كانوا في أقصى الصين ! فهل توقف الأمر عند ذلك ؟

د – الجهاد العالمي

أخذ الجهاد يمتد عالميا بعد أن أثبت المجاهدون أنفسهم في تحويل مجريات الأحداث العالمية في أفغانستان والبوسنة والهرسك ، وأخذ الغرب ينظم المؤتمرات العالمية كمؤتمر شانغهاي لمكافحة الإرهاب ومؤتمر دايتون وشرم الشيخ وغيرها لتحجيم وتقنين ومكافحة ما بات يعرف بالجهاد العالمي والذي كان يمثله (الأفغان العرب) ومن سار على نهجهم ، وقد نجح الغرب في القضاء على التجمعات الجهادية في بيشاور والتي كانت بمثابة مجتمع صغير للجماعات الإسلامية ذات النشاط المسلح عن طريق إشعال فتنة الحرب الداخلية بين الفصائل في داخل أفغانستان ثم التخلص من رموز الجهاد في تلك الفترة كعملية اغتيال الشيخ عبدالله عزام في بيشاور عام ١٩٨٩ بيد الإستخبارات الباكستانية والأمريكية على الأرجح ، فانفض الجمع إثر ذلك ، أما حرب البلقان فقد تدخل الرئيس الأمريكي بل كلينتون بنفسه لإبرام اتفاقية دايتون بين الأطراف المتنازعة ليتم فرض الشروط الأمريكية للسلام ، والتي كان من أهمها لهم طرد المجاهدين العرب من البو سنة والهرسك ، وقد ظهرت في هذه الفترة الحرجة على المجاهدين لما تعرضوا له من تضييق غير مسبوق ، ظهرت محاولات غامضة من قبل علماء غير رسميين لدفع المجاهدين نحو قضايا معينة لإفراغ شحنتهم الجهادية بعيدا عن (المناطق الحساسة) للأمن والإقتصاد العالمي ، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل .

نقطة التحول التاريخي في الصراع

يعتبر الغزو الصليبي لجزيرة العرب عام ١٩٩٠ تحت ذريعة تحرير الكويت نقطة تحول كبيرة في المسار الفكري للمجاهدين بعد أن كشفت لهم الأحداث حقيقة الأنظمة الحاكمة في المنطقة وحقيقة المؤسسات الدينية التابعة لهم وضخامة المؤامرة الصليبية التي اعتمدت على الأطراف السابقة في وصول جيوشها إلى المنطقة وإضفاء الشرعية على هذا الوجود (الدائم) !

وقد كانت ضخامة قوات التحالف التي قدرت بمليون جندي منهم ٤٠٠ ألف جندي أمريكي مدعومين بمئات الطائرات والغواصات النووية والبارجات العملاقة وحاملات الطائرات ، وربط ذلك بالقواعد العسكرية الكبيرة التي أعدت مسبقا لاستقبال هذه الجيوش بطلب من الرئيس الأمريكي كارتر كما ذكرنا في (مبدأ كارتر) كافية لأن يدرك المجاهدون أن هناك مؤامرة عالمية ضد المسلمين ، وتحاك بالتعاون مع الأنظمة العميلة في المنطقة مدعومة بالمؤسسات الدينية والإعلامية والثقافية ، وعليه فإن الإنشغال بقتال الأنظمة المرتدة أو الإكتفاء بتقديم النصرة لقضايا المسلمين المختلفة سيشتت جهود المجاهدين دون جدوى وسيجعلهم يدورون في حلقة مفرغة ما إن تنتهي قضية حتى تبدأ أخرى ، وهنا انتبة الشيخ أسامة بن لادن إلى ضرورة البحث عن [هدف استراتيجي] لجمع جهود المجاهدين المتناثرة هنا وهناك وتوجيهها ضد هذا الهدف واستثمار ذلك كله في إدخال الأمة الإسلامية بكاملها كخصم في معركة ضد القوى المتآمرة عليها ، وبدأ الشيخ أسامة بن لادن أولى الخطوات العملية بإعلان الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين عام ١٩٩٨ ولم يكتب لها النجاح .

تنظيم قاعدة الجهاد

اندمجت القدرات التنظيمية لجماعة الجهاد المصري بقيادة الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله مع القدرات القيادية للشيخ أسامة بن لادن لتكوين [تنظيم قاعدة الجهاد] التي تبنت الدعوة إلى قتال الرأس المدبر لجميع مآسي المسلمين والركن الركين للأنظمة الحاكمة الجاثمة فوق صدور المسلمين [أمريكا] وذلك باستهداف جميع المصالح الأمريكية السياسية والإقتصادية والعسكرية والمدنية في أي بقعة كانت من الكرة الأرضية ، وقد لخص الشيخ أسامة بن لادن المعادلة الجديدة التي ستهدم خطوط العدو الرئيسية / المؤسسات الدينية / الأنظمة الحاكمة / القوات الصليبية ، بالآتي :

ذكر الشيخ أبي مصعب السوري فك الله أسره في موسوعته (دعوة المقاومة الإسلامية العالمية)

[. . . وكان الشيخ أسامة قد توصل بتفكيره الشخصي وتأثره بمنهج التيار الجهادي وفهمه للواقع إلى أن الطريق إلى الجهاد ضد الأنظمة المرتدة ومنها النظام القائم في السعودية يمر حتما بمواجهة أمريكا . . . وتوصل بتوفيق الله له إلى المعادلة

السياسية الصحيحة :

العلماء يضيفون الشرعية على آل سعود و آل سعود يضيفون الشرعية على وجود أمريكا في الجزيرة وهناك إحدى طريقتين للمواجهة مع آل سعود . . .

١ ـ إما مواجهة آل سعود وبالتالي ضرورة مواجهة العلماء لكشف نفاقهم لإسقاط

شرعية آل سعود وهي معركة خاسرة أمام الناس لحجم وثقل المؤسسة الدينية وما زرعته من الشرعية والهيبة في عقول الناس عبر أكثر من ٧٠ سنة .

٢ ـ وإما طريق أسلم . . . وهو

ضرب الوجود الأمريكي فيضطر آل سعود للدفاع عنه فتسقط شرعيتهم في أعين المسلمين في بلاد الحرمين . . . فتدافع المؤسسة الدينية عنهم فتسقط شرعيتها معهم . . .

فتدور المعركة على بينة أكثر وضوحا أمام الناس ، واختار الشيخ أسامة الخيار الثاني]

وبدأت باكورة عمليات تنظيم القاعدة بضرب سفارتي أمريكا في نيروبي ودار السلام عام ١٩٩٨ وأسفرت العملية عن ٢٢٤ قتيل وسببت العملية ذهول عالمي كبير لاستهدافها مركز الإستخبارات الأمريكي الرئيسي في القارة الإفريقية ، ثم ثنت بضرب المدمرة الأمريكية كول قبالة شواطيء عدن في صيف عام ٢٠٠٠ فقامت أمريكا بالضغط على إمارة طالبان عن طريق الأمم المتحدة والسعودية وباكستان وأطراف أخرى لتسليم أسامة بن لادن من جهة والتخطيط لإلغاء الملاذات الآمنة للإرهاب من جهة أخرى عبر السيطرة على معسكرات القاعدة التي تدير ظاهرة الجهاد العالمي من هناك ، ولكن أمرا ما قد حدث فغير وقلب وشقلب موازين الصراع العالمي !

نقطة الإلتقاء بين المسار الجهادي وتمثلة القاعدة رأس حربة الأمة الإسلامية وبين المسار الأمريكي رأس حربة الحرب الصليبية الثالثة

خرجت تقارير استراتيجية ووضعت على مكتب الرئيس الأمريكي بل كلنتون تفيد أن الخطر الحقيقي بعد انتهاء حقبة الحرب الباردة يكمن في الجهاد العالمي أو الإسلام المتطرف بالمعنى الأمريكي ، لأن هذا النوع من المواجهة إن حدث فسيقود أمريكا إلى ما يسمى ب [الحرب اللامتوازية] وهو نوع جديد من الحروب سيسلب الجيش الأمريكي فاعليته العسكرية ! لأن صواريخه النووية وطائراته الشبح وأقماره الصناعية وحاملات طائراته ستكون في

مقابل قوة الإستشهاديين الذين يفجرون أنفسهم في الأهداف الحيوية للنظام الأمريكي دون أن تشكل القوة الأمريكية أي رادع لهم !!

وهذا سبب تسميتها بالحرب اللامتوازية وليس اللامتوازنة ! لأن إتجاه القوة الذي تسير فيه أمريكا غير إتجاه القوة الذي تسير فيه القاعدة ، أي أن أمريكا بما تملكه من أذرع قوة وإمكانيات عسكرية لا ترى أية أهداف حيوية و مهمة للقاعدة على الأرض يمكن أن تستثمر قوتها ونفوذها الذي سيطرت على العالم من خلاله في تدميرها ! بينما تختار القاعدة أهدافها بسهولة كبيرة وتدمرها بواسطة العمليات الإستشهادية بسهولة أكبر ! مستخدمة [تكنلوجيا الجهل] لتعطيل التقنية المتطورة لآلة الحرب الأمريكية ! أي أن القاعدة عندما تستخدم اسلوب تسليم الرسائل باليد (سعاة البريد) للإتصالات بين القادة فإنها بذلك تعطل كل ما يملكه الأمريكان من أنظمة مراقبة جوية وأجهزة التنصت والرصد !

وقد بدى الأمر بهذا الشكل المخيف للقادة الأمريكيين إلا أنه لم يكن إلا أفكار نظرية لما يمكن أن يكون عليه الصراع القادم حتى وضعت القاعدة رجلها على الدرجة الأولى في سلم الحرب الجديدة بعمليتي [نيروبي ودارالسلام] عام ١٩٩٨ فاكتفى الأمريكان بتوجيه ضربات صاروخية محدودة لمعسكرات القاعدة في قندهار ثم تقدمت القاعدة إلى الخطوة الثانية في ضرب المدمرة الأمريكية (يو أس أس كول) على سواحل عدن بعد ذلك بعامين ! فبدت الإدارة الأمريكية وكأنها لا تريد أن تصدق أن الحرب اللامتوازية قد بدأت بالفعل !! فقامت إدارة الرئيس الأمريكي كلينتون بإرسال فريق تحقيقات من الإف بي آي إلى اليمن والضغط على الحكومة اليمنية لإطالة أمد التحقيقات في القضية وعدم توجيه إتهام رسمي للقاعدة في حينها حتى ترحل القضية للرئيس القادم ويفلت كلينتون من أن تبدأ الحرب الجديدة في عهده !

الحرب اللامتوازية

في الساعة ٨،٤٥ دقيقة من صباح يوم الثلاثاء الحادي عشر من سبتمبر من عام ٢٠٠١ ارتطمت البوينغ ٧٤٧ بقيادة الكابتن محمد عطا بالبرج الأول لمركز التجارة العالمي في نيويورك معلنة بذلك بداية المعارك المرعبة للحرب الجديدة (الحرب اللامتوازية) !وأدرك الغرب بأسره بأنه أمام بداية جديدة لنوع جديد من أنواع الصراع العالمي كان قد تنبأ به (هنتنجتون) في نظرية (صراع الحضارات) وملخص نظريته أن العالم لا يتسع لحضارتين أو ثلاثة وأنه يجب أن تسود حضارة واحدة وتفرض نظامها السياسي والإجتماعي والإقتصادي حتى يسود السلام العالم كله ، ونحن كمسلمين نوافقه فيما ذهب إليه ونرى أن العالم فعلا لا يتسع لحضارتين في آن واحد ، ولذا فنحن

نقاتل حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، وعندنا بشارة في أن ديننا سيدخل كل بيت وبر أو مدر بعز عزيز أو ذل ذليل !

لقد أدركت أمريكا ومن خلفها الغرب أن هذه العملية ليست أزمة دولية من السهل تجاوزها أو إغضاء الطرف عنها أو تأجيلها كما حدث مع قضية كول ، وأن نظامها ومصيرها ووجودها على هرم القوة في العالم سيتحدد بناء على تعاملها مع هذا الحدث الخطير ، وحتى ندرك الصورة التي كانت في أذهان الساسة الأمريكان في تلك الأيام أنقل إليكم هذه الكلمات البليغة ممن يحلو لي أن أطلق عليه اسم [بروفسور المجاهدين]

قال لي البروفسور :
[أمريكا دولة لم يكن لها نموذج سابق في التاريخ ، من حيث أن الأمن لم يكن يشكل لها هاجس كبقية الدول ، وذلك لبعد مركزها عن دوائر الصراع في العالم ، ولم يتغير هذا الأمر إلا في يوم ١١ /سبتمبر . . . . لقد أحدثت عمليات الحادي عشر من سبتمبر كسر في مسار التاريخ !!!]

ومن خلال هذا الإيجاز التاريخي يتضح لنا أن التيار الجهادي قد قطع شوطا طويلا حتى يضع بصمته على المشهد العالمي وحتى يحجز المقعد الخاص به وسط دوائر الصراع المؤثرة فن وهو بذلك قد وصل إلى مرحلة من النضج الفكري والتنظيمي تؤهله لدور بحجم قيادة الأمة من خلال مشروع الخلافة الإسلامية ، فهذا التيار بهذه الصورة المجملة والجميلة التي وصل إليها هو خلاصة رحلة طويلة مع معارك السيف والقلم إنتهى الفصل قبل الأخير منها بمقتل رأس حربة المسلمين ضد الحملة الصهيوصليبية الشيخ المحارب أسامة بن لادن رحمه الله والذي أحسب أن الله أراد أن يحفظ له الأجر كاملا فقبضه قبل أن يريه ثمرة جهاده ودعوته فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم: {ما من غازية أو سرية تغزو فتغنم وتسلم إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجورهم ومامن غازية أو سرية تخفق وتصاب إلا تم أجورهم} رواه مسلم ، وإن كان اليهود لم ينسوا فضل هيرتزل في بناء وتوطيد دولتهم التي أنشأت بعد وفاته فقاموا بنقل رفاته من أوربا إلى تل أبيب كتقدير على جهوده في بناء الدولة اليهودية التي كانت من بنات أفكاره فإني لا أجد أفضل من أن نعمل بجد واجتهاد كما علمنا الشيخ لنبني ونمد حدود دولة الإسلام ومهد الخلافة لتشمل بحر العرب وما وراءه كي تضم بركة الشريعة قبره الشريف ولكي يبغله خبر رسالتي التي لم تصل إليه .

عبدالله بن محمد
٥ /شوال/١٤٣٢
جزيرة العرب

ادعوا لإخوانكم المجاهدين

إخوانكم في :



مؤسسة المأسدة الإعلامية

(صوت شبكة شموخ الإسلام)

.........كلمات خالدة ....

